وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

فلسفة الدماغ

الوحدة الواحدة

قصي السعدي

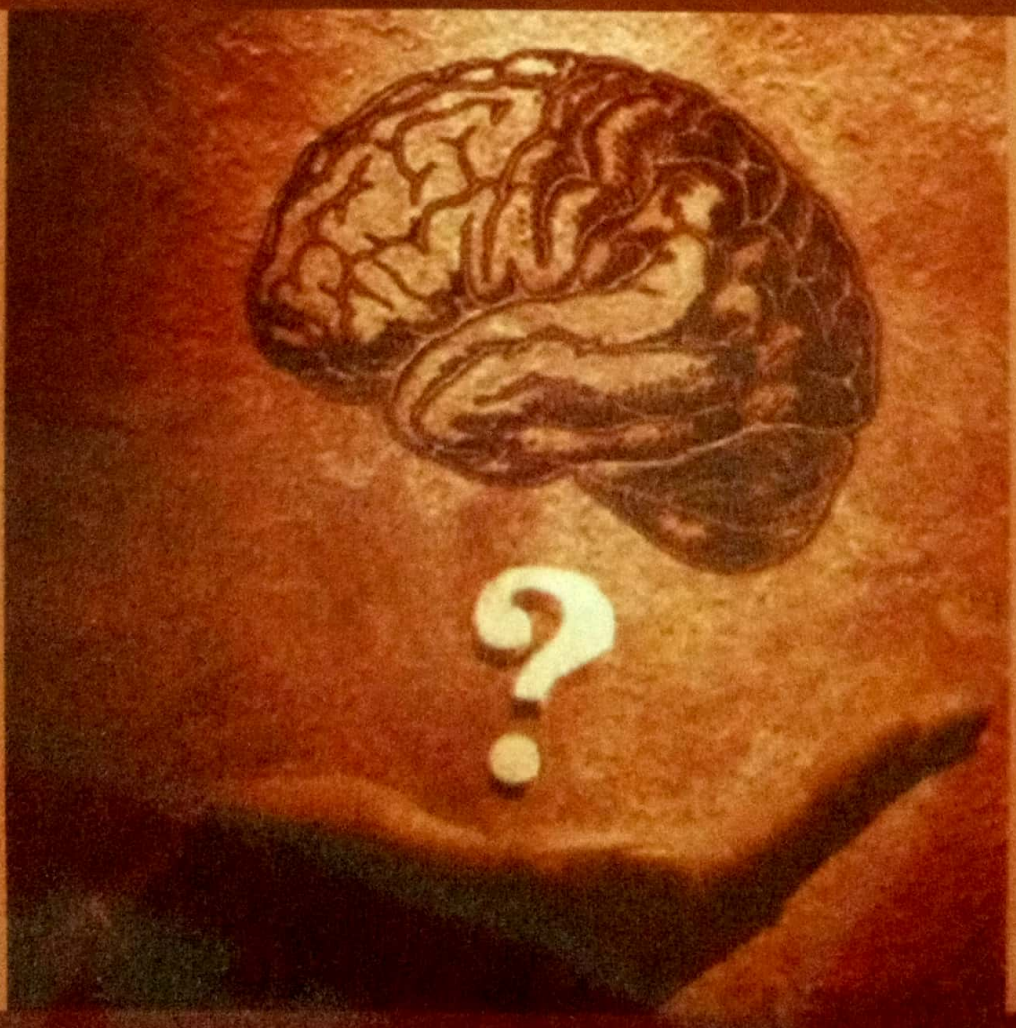

تصميم الغلاف

جيهان خير

قصي السعدي

فلسفة الدماغ

الوحدة الواحدة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٦م

فلسفة الدماغ: الوحدة الواحدة / قصي السعدي.- دمشق:
الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٦. - ١١٦ص؛ ٢٠ سم.

١- ١٢١ س ع د ف ٢- العنوان ٣- السعدي

مكتبة الأسد

إهداء إلى

التي تحملت كل أعبائي كي أبدع

زوجتي

كل إنسان يرغب أن يصبح مبدعاً ليعيش وطنه وأحفاده بكرامة

أصدقائي الذين حثوني وتابعوني كي يخرج كتابي هذا إلى النور

كل من يؤمن بالعلم إيماناً مطلقاً

مُقَدِّمَة

ما نطمح إليه هو تقديم رؤيا تطرح آلية منهجية للدماغ، وفق أسس نظام تنظيمي يعمل بشكل تمثيلي، لنصل إلى ضرورة فهم هذه الآلية من أجل ترتيب أفكارنا وأعمالنا كي نبتعد عن الفوضى ونرى الأشياء بوضوح راسمين معاً صور الماضي، لنستشف ما يمكن أن نقوم به من أعمال كي نبتعد ما أمكن عن التصورات غير الصحيحة،ومعرفة ما نقوم أو ما سنقوم به من أعمال لاحقة.

ما نقدمه في هذا الكتاب هو فلسفة أكثر مما هو فكر، فالفلسفة برأينا هي منتج علمي نتج عن دمج عدة علوم بعضها ببعض، ليوضح رؤيا ما من زاوية ما تساعد على فهم أكثر الأفكار التي كانت في الأحقاب القديمة والأفكار المعاصرة، ومن ثمَّ يصبح بحد ذاته منهجاً، لكن الجميل بهذا المنهج المنتج (الفلسفة) أنه غير مؤدلج، بل تستطيع أن تنهل منه لتولد أفكاراً جديدة تصنع من تلك الأفكار الجديدة منهجاً مؤدلجاً.

هذه الفلسفة تكوّنت من صهر الكثير من الأفكار الدينية، والاطلاع على معظم الأحداث التاريخية التي مرّت على سطح الكرة الأرضية، وبعض الدراسات المتعلقة بالعالمين الداخلي والخارجي وهما الإنسان والطبيعة، ودراسة بعض الفنون ومدى تأثيرها على هذين العالمين، وبعض العلوم العلمية الأخرى فنتوقع أنها جاءت بنتائج سوف ترضي الكثير من القراء الأعزاء.

والجدير بالذكر، والذي لابد أن يقال، أنه تم إنشاء مصطلحات علمية خاصة بهذا المنتج العلمي، تعطي أملاً جديداً لإحياء اللغة العربية وبث الروح فيها من جديد، بعد أن نعاها المستشرقون عندما قالوا إن اللغة العربية هي لغة غير حية وذلك في أواخر القرن العشرين، وقصدوا بها أن اللغة العربية قد ماتت لأنها لم تعد تولد كلمات ومصطلحات جديدة،وهذه المسألة مهمة جداً وخطيرة، ويجب الانتباه إليها كي تنهض أمتنا وترسم لنفسها مستقبلها الذي يليق بها، وهذا المستقبل لن يتحقق إن لم يتوافق وحركة التطور الإنساني، لذلك عملنا على ربط هذا المنحى من خلال فقرات الكتاب.

إن إحياء اللغة العربية لا يتم على أيدي الأدباء والشعراء والمثقفين وإن تم فهو نادر جداً، بل يتم على أيدي الفلاسفة والعلماء والمبدعين لأنهم وحدهم تقع عليهم مسؤولية الخلق والولادة لمنتجات أوجدوها لم تكن موجودة من قبل.

وأخيراً الشكر الأكبر لك عزيزي القارئ العربي، راجياً من الله أن أكون قد قدمت لبنة صغيرة تساعد في ترميم اللوحة العربية التي تصدعت نتيجة ممارسات غير صحيحة عملناها نحن بأيدينا، دون أن ندري ما سيترتب عليها من نتائج مستقبلية وكذلك نتيجة تلك الهجمات البربرية من قبل أعدائنا الذين يودون ألا تقوم لأمتنا قائمة.

المؤلف

تمهيد

من النادر جداً أن يدخل الموت على دولة أو مدينة، أو حتى قرية من خارجها ما لم يسبقه انحلال داخلي يعمل على تفتيت النسيج الداخلي الموحد، وذلك بمساعدة المؤثرات الخارجية التي تغزو ذلك البلد دون أن يدري، ثم يأتي الهجوم الخارجي ليعمل إما على إبادة تلك الدولة أو على التغيير في شكل تلك الأمة وتجزئتها، ولا يقدر على الخروج من هذه الفاجعة الخطيرة إلا المبدعون والعباقرة.

إنَّ هذه المؤثرات الخارجية ما هي إلا أعمال تعمل على تخريب الوحدة الواحدة (الدماغ على الأقل)، لتكون تلك الوحدة الواحدة كما يشاؤون، مستخدمين الوسائل الممكنة كلها في عملية التخريب الممنهج في حالة السلم، أو على الأقل إن لم تستطع تخريب هذه الوحدة الواحدة فيكفي أن تشغلها بأمور وأشياء لافائدة منها، وتسرق منها الوقت كي تمنع نموها الطبيعي حتى لا تحقق تقدماً إنسانياً يكتب لها.

ليس هناك إنسان غبي أو إنسان ذكي، ولا أمة غبية وأمة ذكية، ولكن هناك إنسان مهتم بتنمية الوحدة الواحدة وإنسان غير مهتم بتنميتها، كما أن هناك أمة تهتم بتنمية الوحدة الواحدة، وأمة لا تهتم بتنمية الوحدة الواحدة التي سوف نتعرف آلية عملها في شرحنا من خلال فقرات هذا الكتاب.

ودليل هذا الاهتمام بتلك الوحدة الواحدة معياره التقدم والتخلف، فالتقدم والتخلف قضيتان محوريتان مركزيتان فكريتان جذورهما المنهجية واللامنهجية، وما التكنولوجيا إلا نتاج هذا العقل المنظم والممنهج.

الفصل الأول

مبـادئ أوليـــة

- تقدمة:

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾

سورة العلق.

شغلتني جداً هذه الآيات التي نزلت على سيدنا محمد (ﷺ) من أوّل لحظة تم تكليفه بها نبياً ليبشر الناس، وأرى هذه الآيات فريضة عين على كل شخص من هذه الأمة مهما كانت ديانته إن أحب لهذه الأمة أن تنهض.

ولكن أين منبع دهشتي من هذه الآيات؟

في الواقع هناك عدّة اعتبارات وهي أن أوّل كلمة نزلت على هذه الأمة هي كلمة اقرأ.. لا إن هناك نوعين من القراءة.. قراءة تتعلق بالخالق والإنسان وهي الآيات ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق﴾ وقراءة تتعلق بعلوم أخرى وهي العلوم

المادية كما في الآيات ﴿**اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**﴾.. والغرابة أنه لا يوجد بين هاتين القراءتين حرف عطف مثل (و) أو (أو) أو (ثم).. أي أن القراءتين متساويتان متكافئتان متكاملتان بالمرتبة نفسها، فالقراءة الأولى قراءة تفكر بالله والإنسان وهي التي بدأت أولاً منذ الأزل.. والقراءة الثانية قراءة في العلوم الأخرى كالرياضيات والهندسة والفلسفة والطب والعلوم المادية الأخرى جميعاً... إلخ، كما نزلت هذه الآيات بلغة الأمر وكأنه فرض على كل مؤمن لا بل فرض واجب على كل إنسان- نقصد بكلمة مؤمن هو إيمان المرء بالله والعلوم بعيداً عن انتمائه إلى أيِّ ديانة كانت، فهناك فارق بين الدّين والدّيانة، فالدّين هو التسليم بكلِّ ما تملك وبالكامل إلى الله، أما الدّيانة فهي تشريع وقوانين دنيوية نتيجة معتقدات ما وطقوس اجتماعية سنت نتيجة معتقدات ما. على المرء أن يقرأ بكلا العلمين لا بنوع واحد منهما لأنه أمر من السماء.. فالقراءة الأولى تُعدّ قراءة دينية والقراءة الثانية تُعدّ قراءة علمية، وعلى كل إنسان أن يمتلك معرفة في الأمور الدينية ومعرفة في الأمور العلمية المادية، لأنه إذا قرأ أحد العلمين كان المرء عندها غير متوازن، ولا يكون متوازناً إلا عند معرفته لكلا العلمين، ولا نعني أن على المرء أن يغوص في دراسة العلوم كلها بل عليه أن يختص في أحدها ويطلع على العلوم الإنسانية - تقسم العلوم عامةً إلى علوم مادية وعلوم إنسانية - بشكل يجعله يستمر في

هذه الحياة وخاصة أنه يعيش في القرن الحادي والعشرين.. فالمرء عندما يملك ديناً بلا علم فهو شخص أعمى، أما المرء الذي يملك علماً بلا دين فهو إنسان أعرج، لذلك حتى يصبح الشخص إنساناً سليماً ومتوازناً عليه أن يمتلك كلا النوعين من العلوم.. وأخيراً نرى أن القراءة الدّينية أشير إليها بآيتين، بينما القراءة العلمية أشير إليها بثلاث آيات، وكأن القراءة العلمية تحتاج إلى تخصيص وقت أطول، وهذا بالفعل صحيح

- تاريخ الدماغ البشري ومراحل تطوره:

عندما وجد الإنسان على سطح البسيطة لم يكن يمتلك أيّ تصور عن هذه الدّنيا وعن مكنوناتها ومكوناتها.. فنرى أن كل تصرفاته كانت تصرفات حيوانية لا تختلف عن الحيوان بشيء، فقد كان يتعارك مع الحيوانات ويأكل كما تأكل وينام كما تنام وكذلك الشرب والعلاقة الجنسية أيضاً.. فنرى أن المرحلة الأولى التي عاشها الإنسان هي مرحلة حيوانية ولا ندري المدة التي بقي عليها هكذا.. ثم أخذ يفكر بالطبيعة وبقوتها وبكل شيء ملموس من حوله بشكل تدريجي ولم يكن في ذهنه أيّ تصور عن الأشياء نهائياً لأنَّه لم يكن يمتلك معلومات في الذاكرة، ولم يكن فيها أيّ معلومات عن طبيعة هذا العالم الخارجي وماديته، ويتصرّف وفق ما تمليه عليه غريزته الحيوانية من خوف وغضب وجوع.... إلخ من الغرائز المحركة للإنسان، وباعتبار أن الطّبيعة أقوى منه فلا بد أن يخضع لها

ويخافها فكان يخاف من كل قوة أقوى منه، وكان يعتقد أن الطّبيعة تغضب عندما تجوع أو تعطش أو ترغب في ممارسة الجنس لذلك اعتقد أنَّه عمد إلى تقديم القرابين لها وأنه استمد بعض الصور من الحيوانات التي هي أقوى منه فالحيوان عندما يشبع لا يقتل فريسة أخرى، وبعض الصّور الأخرى مثلاً الرياح عندما كانت تهبّ وتقتلع الأشجار وتقتل بعض الأفراد ثم تهدأ فيظن أنها شبعت، ومياه الفيضانات كانت تهدأ أيضاً بعدما تبتلع وتقتلع ما تجده أمامها فتشبع وتهدأ فعمد إلى تقديم القرابين لكي يهدئ من تلك الأعاصير والفيضانات والقوى التي تفوقه كي تتركه بسلام فظهرت لديه فكرة القرابين وتقديمها لتلك القوى التي سمَّاها فيما بعد بالآلهة، فظهرت آلهة الرياح وآلهة المياه وآلهة الشمس و.... إلخ، كما ظهرت آلهة بأسماء حيوانات، وبدأ قسم من دماغه يفكر بتلك الحوادث الخارجة عن إرادته، فعدَّها حوادث تتعلق بالعالم الخارجي لا بعالمه الداخلي الذي تحرّكه الغريزة.. وهنا يتضح لنا أنَّ هذا الإنسان القديم بدأ يفكّر ضمن منطقتين من المناطق الموجودة بالدماغ، المنطقة الأساسية وهي مركز العالم الداخلي أو المحرك الأساسي للإنسان وهي الغريزة، ومنطقة أخرى تتعلق بالعالم الميتافيزيقي وبقوى العالم الخارجي التي لا يستطيع أن يسيطر عليها، والتي هي بالنسبة له قوى خارقة أقوى منه تلك المنطقة سنسميها باللب، واستمرت الحياة هكذا وتطورت ولا ندري ما المدة الزمنية التي بقي فيها هذا الإنسان على تلك الحالة إلى أن أصبح للحياة معنىً آخر، وأعني

حياة الاستقرار التي تتعلق بظهور الزراعة وترويض بعض الحيوانات التي استطاع أن يسيطر عليها كالخروف والكلب والماعز والبقرة و.... إلخ، فرأى أغلب المؤرخين أن المرأة لعبت دوراً كبيراً في تلك العملية الانتقالية من حياة غير مستقرة إلى حياة مستقرة، ورأى علماء التاريخ والأنثروبولوجيا أن ذلك تمّ في الألف العاشر قبل الميلاد بوصوله إلى مرحلة الاستقرار أو أثناء مرحلة الانتقال إلى المرحلة الجديدة المستقرة، ويتضح أنه بدأ يستعمل المنطقة الثالثة من الدماغ وهي منطقة العقل (اعتبرنا هنا أنَّ العقل موجود في منطقة ما داخل الدماغ وهذا الاعتبار هو اعتبار تمثيلي فقط لتبسيط حركة العمليات الفكرية التي تتم داخل الوحدة الواحدة)، وبدأ يستخدمها ليتعامل مع الطبيعة محاولاً السيطرة عليها والتخلص من شرورها والحماية من مخاوفها، فبدأ عقله يفكر في تطوير حياته شيئاً فشيئاً لكن نجد بعد فترة من الزمن، أو في الفترة نفسها أن طبقة من النّاس وهم الكهنة أو رجال اللاهوت عملوا على بسط سيطرتهم على تلك المنطقة من الدماغ ألا وهي العقل، لبسط نفوذهم والاستفادة من القرابين، وفرض قوانين تخدم مصالحهم فبنوا المعابد وسنّوا القوانين والتشريعات، وابتدعوا طقوساً دينية لبثِّ الرهبة والخوف في قلوب الناس البسطاء، مستفيدين من فكرة الآلهة ومسخرين تلك الآلهة لمصالحهم الشخصية، فبدأ الكهنة يصورونها بصور وأشكال تعمل على تخريب هذا العقل – بغير قصد – كي يبقوا مسيطرين على الرعية فظهرت صور وأشكال للآلهة مثل

آلهة من نصف إنسان ونصف حيوان وآلهة من نصف إله ونصف إنسان و.... إلخ، هذا العمل الذي أنتجته تلك الفترة كان من أجل السيطرة على الإنسان.. فالشيء الأكيد والذي لا لبس فيه هو أن الإنسان استطاع أن يسيطر على الطبيعة بشكل نسبي، أو بالقدر الذي هدأ من روعه، ولكنه وقع تحت سيطرة أخيه الإنسان، وأقصد الكهنة (رجال اللاهوت)، فعمد زعيم كل منطقة، بالتعاون مع الكهنة، إلى استخدام الآلهة من أجل السيطرة على رعيته..

- تاريخ الآلهة:

يقول فولتير «إن أوّل كاهن هو أوّل محتال التقى بأوّل أحمق»

بدأ التفكير بوجود آلهة منذ وجود الإنسان على سطح البسيطة، وهي القوة الخارقة التي تحرّك كلَّ شيء في هذا الوجود، وبدأ الكهنة والنّاس يقدسونها ويصورونها ويعبدون هذه الصّور أو تلك إلى أن ظهر الموحدون، والموحدون باعتقادي هم أناس لم يستطع الكهنة تشويه أدمغتهم فاستطاعوا أن يروا بفضل اللب عظمة الخالق، وأدركوا أن لهذا الكون خالقاً واحداً ليس كمثله شيء، وأن هذه الآلهة كلها بدع، وهي صورة أوجدتها الكهنة للسيطرة على الشعوب، فشرعوا بمحاربة تلك البدع.. لا شك أن كل عمل أو حركة أو ظاهرة أو أي شيء في هذا الوجود له سلبياته وإيجابياته مهما كان استخدامه في الطريقة السلبية أو الإيجابية، فعلى الرغم من سلبيات الكهنة فقد أوجدوا قوانين أطرت تلك الجماعات ضمن

أطر منظمة لردعها، في وقت كانت الغريزة لا تزال هي المسيطرة على الإنسان، وأن المنطقتين الباقيتين من الدماغ لا تزالان فتيتين لا تقويان على أخذ القرارات الخاصة بهما أي اللب والعقل، وهنا يجدر بنا ذكر مقولة كريتياس وهو من فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد «الآلهة جرى اختراعها لزرع الخوف في قلوب أولئك الذين يتصرفون تصرفاً شريراً في غياب مثل هذا الخوف». وهو يشبه المثل الشعبي القائل «اللي ما بخاف من الله خاف منه»، هذا من حيث الإيجابيات. وأما السلبيات فمنها أن رجال الدين عملوا من أجل خدمة رجال السياسة (السلطة) لا الدين.

ليس هناك ما يفيد الباحث في معرفة التاريخ الذي بدأ فيه التوحيد، ومن هو أوّل شخص استوحى فكرة التوحيد لكن نستطيع الجزم بأن الأنبياء هم من بشروا بالإله الواحد، وأن سيدنا نوح هو آخر نبي كان قبل الطوفان حسب روايات التوراة والقرآن، وعليه نستطيع أن نقول إن سيدنا إبراهيم هو أوّل نبي موحد أتى بعد الطوفان. في حين يرى بعض الفلاسفة أن التوحيد هو عملية اجتماعية تطورت من الملموس إلى المجرد (التجريد) بعد تطور الفكر البشري.

وأمّا تاريخ مجيء سيدنا إبراهيم فقيل هو سنة / ٢٠٠٠ / قبل الميلاد وبعض المؤرخين رآه عام / ٢٢٠٠ / وبعضهم الآخر كان عنده في عام /١٧٠٠ / ق. م. ومهما يكن الأمر فسوف نرى أن فكرة التوحيد أتت في الألف الثاني قبل الميلاد منذ زمن إبراهيم، وتوالى المبشرون بالإله الواحد وأنهم مرسلون من قبل الله.

نسرد الموضوع من جهة العقل لا من جهة اللب، أي نسرد الموضوع بشكل مادي دون الحاجة إلى إثبات أو عدم إثبات أنهم أنبياء ورسل من عند الله أم لا، بل من جهة علمية مادية بحتة لا من جهة ميتافيزيقية، وسنوضح ذلك لاحقاً كي لا نخلط المادة بالميتافيزيقيا.

بعد توالي الرسل من إبراهيم إلى إسحاق إلى يعقوب إلى... موسى تشكلت أوّل ديانة سماوية أتى بها سيدنا موسى وهي الديانة اليهودية، ورأى بعض المؤرخين أن ذلك تم عام / ١٤٥٠ / قبل الميلاد، وبعضهم الآخر يرى مجيء موسى عام / ١٢٥٠ / قبل الميلاد. وأياً كان التاريخ، فقد جاء موسى برسالة وبكتاب سماوي فكان أول كتاب نزل من السماء ولم يدون التوراة إلا في القرن الرابع قبل الميلاد بعد سبي البابليين لليهود أي بعد وفاة موسى بثمانية قرون. واستطاع الكهنة أن يحرفوا به كثيراً لأن الموروث الثقافي لموضوع الآلهة ما زال هو المسيطر في ذلك الوقت ناهيك عن أنه ألّف في بلاد الرافدين التي كانت لا تزال تؤمن بالأساطير وبتعدد الآلهة، لذلك نجد أنفسنا – حين نقرأ التوراة – أننا نقرأ في كتاب مؤلف من أساطير، حيث يصور هذا الكتاب الله خادماً لبني إسرائيل، إلا أن فكرة الإله الواحد بدأت تحل محل فكرة تعدد الآلهة، وأن هذه الآلهة ما هي إلا أوهام وتوهم أتى بها الأولون بأساطيرهم، لكنها شكلت حالة اجتماعية واقتصادية وسياسية معينة شكلت فيها طبقات حاكمة وطبقات محكومة على أسس لاهوتية تتناسب وتلك الموجة

السائدة، وأعني موجة الحياة الزراعية، فظهر الإله بالتوراة على صورة طراز الآلهة نفسها، ولكنه مثَّلَ الآلهة جميعها.

لم يغيّر مجيء الديانة اليهودية البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بل حافظ عليها ولكن بقوانين وشرائع وأسس جديدة نوعاً ما، هذا ما تحكيه لنا قصص التوراة والتلمود.

لاشك أن العالم قديماً كان ثلاث قارات هي آسيا وأوروبا وأفريقيا حسب خريطة بطليموس المرسومة في القرن الثاني ميلادي، وأن الديانة اليهودية انتشرت على مساحة جغرافية صغيرة، لكن فكرة الإله الواحد كانت تطرب الناس فظهرت عدة ديانات تدعو للإله الواحد منها الديانة الزرادشتية والديانة البوذية وديانات عدة، لكنني سأقدم فكرة موجزة عن كل من الديانة الزرادشتية والديانة البوذية.

- الديانة الزرادشتية:

ولد زرادشت في القرن التاسع قبل الميلاد أي بعد وجود الديانة اليهودية من أب كاهن وأم وقورة، فقد تسرب الملاك من خلال نبات الهوما إلى جسم الكاهن ودخل شعاع العظمة السماوي إلى صدر الفتاة، وتزوج الكاهن من الفتاة فأنجبا (زرشسترا) الذي يعرف لدينا باسم زرادشت، فلما ولد زرشسترا قهقه عالياً فطرد من حوله الأرواح الشريرة، وأحب هذا الوليد الحكمة فاعتزل الناس في برية جبلية وآمن بأهورا - مزدا (الله)

(رب النور) (الإله الأعظم) وتجلى له أهورا – مزدا ووضع بين يديه كتاب الأبستاق أي كتاب العلم والحكمة، وأمره أن يعظ الناس بما جاء في هذا الكتاب، وظل العالم زمناً طويلاً يسخر من زرادشت ويضطهده حتى سمعه أخيراً أمير إيراني يدعى (فشتسبا) أو (هستسبس) فأعجبه ما سمع من زرادشت ووعده أن ينشر الدين الجديد بين شعبه، وهكذا ولدت الديانة الزرادشتية. عمر زرادشت زمناً طويلاً حتى أحرقه وميض برق وصعد إلى السماء. دعا زرادشت إلى الإله الواحد وأن ليس في العالم إلا إله واحد وهو أهورا – مزدا إله النور والسماء.

اعتنق ملك الفرس دارا الأوّل الدين الجديد ورأى فيه ديناً ملهماً لشعبه، وبدأ يثير حرباً شعواء على العبادات الأخرى وعلى الكهنة المجوس، وجعل الزرادشتية ديانة الدولة.

كان الكتاب المقدس للزرادشتية هو مجموعة الكتب التي جمع فيها أصحاب زرادشت ومريدوه أقواله وأدعيته، وسميت هذه الكتب بالأبستاق.

أفضل الفضائل في الديانة الزرادشتية هما الطهر والأمانة ويؤديان إلى الحياة الخالدة. ولأهورا – مزدا كما وصفه زرادشت سبع صفات هي (النور – العقل الطيب – الحق – السلطان – التقوى – الخير – الخلود).

اسم الشيطان في الديانة الزرادشتية هو (أهرمان) وهو الذي خلق الشر والأفاعي.

توجد آخرة في الديانة الزرادشتية وهناك جنة ونار، كما نراها تتشابه مع الديانات السماوية بنسبة كبيرة.

يقول زرادشت «سيخرج من بعدي على فترات ثلاث مختلفة ثلاثة من النبيين ينشرون تعاليمي في أطراف العالم، ثم ينتهي العالم ويحل يوم الحساب الأخير، وتقوم مملكة أهورا - مزدا ويهلك أهرمان وجميع قوى الشر، وتبعث الأرواح الطيبة وتعود الحياة إلى الأجساد، وتتردد فيها الأنفاس ويخلو العالم المادي كله إلى أبد الدهر من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال».

نلاحظ أن العالم بعد زرشترا فعلاً انقسم إلى ثلاثة أقسام دينية كبيرة وهي (البوذية - المسيحية - الإسلامية) طبعاً من حيث العدد.

نرى هناك تشابهاً كبيراً وكبيراً جداً بين المعتقدات والأفكار الزرادشتية والديانات السماوية..

- الديانة البوذية:

في منتصف القرن السادس قبل الميلاد ولد سدهارتو غوتاما في الهند وهو أمير ابن أمير ومن أسرة أرستقراطية، وعاش حياته في البذخ والقصور بين اللهو واللعب والملذات إلى أن أصبح شاباً، لكنه سئم من هذه الحياة، لأن الإنسان لم يأت إلى هذه الدنيا ليعيش كما تعيش باقي الكائنات الحية من نبات وحيوان، بل جاء من أجل أمر آخر أسمى بكثير من تلك الحياة

فذهب إلى منطقة منعزلة اعتزل فيها وبدأ يتأمل ويتبحر في خياله، ويتفكر في هذا العالم المادي والعالم اللامادي، فعمد إلى تعذيب نفسه ليتخلص من شرورها ويسيطر عليها.. كانت الديانة السائدة آنذاك هي الديانة البرهمية، وهي ديانة تقدس الحيوانات كلها وتعبدها فلا يأكلون لحومها. بعد مراقبة سدهارتو غوتاما الطبيعة والنفس الإنسانية وما يدور بينهما وحولهما، رأى أن هذه الدنيا تسيرها قوة، وهذه القوة هي التي نظمت كل ما تراه العين وما لا تراه، وعليه ينبغي أن نقدسها ونعبدها ونعيش من أجلها. مكث سدهارتو غوتاما في تلك المنطقة القفراء مدة طويلة من الزمن تقارب العقد، ثم عاد إلى منطقته السابقة وبدأ ينشر تعاليمه، ويهدي الناس إلى أن هناك في السماء قوة ما هي التي تسير كل هذا الكون، وسماها القوة المطلقة (الله).

أعجب الناس بأفكاره ومعتقداته فانتشرت بذلك الديانة التي كان يدعو لها، وسميت الديانة البوذية نسبة إلى اللقب الذي كان الناس ينادونه به وهو (بوذا). وكلمة بوذا تعني باللغة السنسكريتية اللغة التي كانوا يتداولونها في ذلك الزمان (المستتير).. فنرى أن الديانة البوذية تعترف بوجود الخالق، ولكن تسميه القوة المطلقة وبوذا لهم هو بمثابة نبي يقدسونه لنبوته، وهو المرشد لهم.

أمّا في بلاد الإغريق فقد بدأ التأثر بذلك، وبدأ التفكير في مسألة الإله الواحد ومهاجمة الآلهة وعلى رأسها الإله أبولو، وقد حكم رجال الكهنة تلك البلاد باسم تلك الآلهة، وجاء هوميروس في

القرن العاشر قبل الميلاد وبعضهم يراه جاء في القرن التاسع قبل الميلاد، وألف ملحمتيه التاريخيتين وهما ملحمة الإلياذة وملحمة الأوديسا، فالأولى مؤلفة من / ١٢٠٠٠ / بيت شعري، والثانية مؤلفة من / ٨٠٠٠ / بيت فصاغت هاتان الملحمتان أفكار الإغريق وتاريخهم، وظلت تلك الأفكار تحكم الإغريق إلى أن ظهر زينوفان وأمثاله من الفلاسفة وهاجم تلك الأساطير وذلك في القرن السادس قبل الميلاد، ذلك القرن الذي أنجب فيه ثلة من الفلاسفة والعلماء الطبيعيين وسموا بفلاسفة الطبيعة، أي العلماء الذين كشفوا أسرارها، ثم جاء من بعده القرن الخامس الذي أنجب فيه الفلاسفة السفسطائيون، وعلى رأسهم أب الفلاسفة السفسطائيين الفيلسوف سقراط الذي وصفه أفلاطون بعبارة جميلة حيث قال «أحمد الله أني ولدت أثينياً ولم أولد بربرياً، وأحمد الله أني ولدت حراً ولم أولد عبداً، وأحمد الله أني ولدت رجلاً ولم أولد امرأة، لكن جلّ ما أحمده أني ولدت في عصر سقراط» فسمي ذلك العصر بعصر سقراط.

لقد أثر الفكر الشرقي على الفكر الغربي، وزاد تأثيره بعد احتلال الإمبراطور فيليب وابنه الإمبراطور الإسكندر المقدوني معظم مناطق الشرق في العالم القديم، فظهرت الحضارة الهلنستية والمقصود بالحضارة الهلنستية هو الناتج الذي نتج نتيجة تزاوج الحضارة اليونانية والحضارة الشرقية، وكلمة (هلنستية) مؤلفة من (هلن) وهي جدة اليونانيين و(ايست) تعني

الشرق باللاتينية، فزادت فكرة الإله الواحد عند الغربيين، وكأن كل ما حدث ما هو إلا تمهيد لمجيء حدث أعظم هو مجيء سيدنا (عيسى) الذي تكلم في المهد ونشر عقيدته، لكنه لم يعش طويلاً إلا أن تلامذته حملوا الرسالة من بعده، ثم جاء بولس الطرسوسي الروماني الأصل - وبعضهم يقول إنه كان يهودياً - فنشر الديانة المسيحية وفكرة الإله الواحد، لكن كان الخلاف على طبيعة سيدنا عيسى هل هو من طبيعة إنسانية أم من طبيعة إلهية، والجدير بالذكر أن في تلك المرحلة كان يعاصره النبي (يحيى) يوحنا المعمدان، وكان له ديانته، وقومه الذين يسمون اليوم بالمندائيين أو (الصابئة).

وأخيراً جاء خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (ﷺ) وذلك في بداية القرن السابع ميلادي، وبلَّغ عن الإله الواحد وتشكلت أمة الإسلام والديانة الإسلامية.

الكثير من القرّاء سوف يقول ما العلاقة بين فلسفة الدماغ وبين تاريخ الآلهة والديانات، وكل ما يتعلق بهذا الموضوع الديني الشائك؟ والإجابة عن هذا التساؤل هي أن المسألة الدينية استهلكت وتستهلك من الدماغ كل لحظة الشيء الكثير، دون أن ننسى الإشارة إلى أن جل وقت الحياة البدائية الأولى بما فيها الموجة الأولى - ونقصد بالموجة الأولى حياة الزراعة - كان محركها الأول هو الدين، لذلك لابد أن نخوض في هذا الغمار كي نشير لاحقاً إلى المكان الذي يجب أن تتم فيه عملية التفكير بالمواضيع الدينية.

ولكن قبل أن نختم هذه الفقرة لابد أن نعترف أنه على مر التاريخ منذ وجود الإنسان على سطح البسيطة، كان رجال الدين يعملون دوماً على خدمة رجال السياسة (السلطة السياسية) لا الدين – طبعاً إلا من رحم ربي – وذلك مع أول تشكل حكم سلطوي تم فيه تقسيم العمل داخل الجماعة إلى يومنا هذا، فكان يتم التعاون بين رجال اللاهوت ورجال السلطة ليحكموا السيطرة على أفراد المجتمع لاستعبادهم، مستخدمين التجهيل والتخويف والترهيب ووسائل أخرى.

– تاريخ الميتافيزيقيا:

لكلمة ميتافيزيقيا تاريخ، حيث كتبت كلمة ميتافيزيقيا لأول مرة عام (٦٠) قبل الميلاد على يد الفيلسوف (أندرونيقوس الرودسي) وهو الرئيس الحادي عشر للمدرسة المشائية الذي كان مغرماً بمكتبة أرسطو، فقام بترتيب مكتبة أرسطو وتصنيفها، فوجد أن هناك خمسة مجلدات تتكلم عن شيء ما بعد الطبيعة أو(ما وراء الطبيعة) ولم يكن لها هذا العنوان الصريح، فوضعها تحت تصنيف كلمة مصطلح ميتافيزيقيا والتي تتألف من كلمتين (ميت) ومعناها ما وراء و(فيزيقيا) وتعني الطبيعة، وبدأت مسيرة الميتافيزيقيا تتبلور، مع العلم أن الميتافيزيقيا كممارسة كانت قديمة قدم التاريخ، وبدأ الفلاسفة الذين أتوا بعد عام (٦٠) قبل الميلاد يكتبون كتباً صريحة تحت هذا الاسم لتعالج هذا

الموضوع، ثم أتت النهضة في أوروبا وبدأ التوسع في علم الميتافيزيقيا على يد فلاسفة عصر النهضة وعصر التنوير، ثم توقفوا عن الكتابة لأنهم رأوه علماً لا جدوى منه، وبقيت بعض الأقلام الخجولة تكتب في هذا الموضوع، لكننا نستطيع أن نقول وبكل صراحة إن كل الفلاسفة دون استثناء لم يحسنوا التصرف والمعالجة حين عالجوا الموضوع باستخدامهم منطقة العقل، فنصَّبوا العقل قائداً للدماغ وعالجوا فيه المسائل الميتافيزيقية، مع العلم أن منطقة اللب هي التي تقود الدماغ في حل مثل هذه المسائل، لأن هذه المسائل اللامادية لا يمكن أن ينصفها العقل لأن عمله ثانوي ليس غير، فالعقل يتعامل مع المسائل المادية لأن قوانينه مادية، بينما المكان المناسب لحل مثل هذه المسائل هو اللب المتصل بالقلب، لذلك نجد أن كل هؤلاء الفلاسفة يختمون كتاباتهم بهذه المواضيع مهما علا شأنهم، أو مهما اتخذوا من أمورٍ إيجابية أو سلبية أو من إيمان أو إلحاد، وهم يقولون إن الكون تسيره قوة خفية وهذه القوة هي العقل الأعظم.

إنّ منطقة مناقشة موضوعات الميتافيزيقيا ومسائلها، هي منطقة اللب، لأن قوانينها تختلف عن قوانين العقل المادية.

الفصل الثاني

الوحدة الواحدة

لا شك أن الدماغ هو العضو الأهم في جسم الإنسان، وهو الذي يقوم بتحريك عالمه الداخلي، وهو الذي يأمر هذا العالم الداخلي ليتواصل مع العالم الخارجي، وهذان العالمان متشابهان من حيث الآلية.

نقصد بالعالم الداخلي الإنسان وبالعالم الخارجي الطبيعة، وكلا العالَمَين يؤثّر أحدهما بالآخر، ويتواصلان مع بعضهما عن طريق الحواس الخاصة بالإنسان والحواس الخاصة بالطبيعة، ويعملان ضمن قوانين خاصة وقوانين عامة، ليصلوا إلى الهدف المنشود لتحقيق هدف ما يسير وفق نظام كوني يكون فيه الإنسان وسيلة وغاية في آنٍ معاً.

بهذه النظرة سوف أبحث في المخطط التمثيلي للدماغ مرتباً أجزاءه من خلال نظرة فلسفية لا من نظرة بيولوجية وفيزيولوجية وسيكولوجية، لذلك سأنظر إلى الإنسان على أنه كتلة واحدة –

والدماغ جزء من هذه الكتلة الواحدة - وعليه فسوف أسمي الأجزاء التي تقوم بالعمل بالوحدة الواحدة، وقد رأيت أن الكثير من الفلاسفة - إن لم نقل الكل - حين كتبوا عن الدماغ كتبوا عن العقل فقط، وكأن العقل قسم منفصل عن الدماغ لا يشاركه بأية مشاركة، سواء أكانت تلك المشاركة كبيرة أم صغيرة، ناهيك عن التباس مواضيع كثيرة يكون فيها العقل هو العنصر الثانوي، وعليه فسوف أضع بين يدي القارئ رؤيتي التي تبيّن أهمية ترتيب عمل الوحدة الواحدة وتنظيمها.

ليس للعقل آلية متفردة ومنعزلة عن الوحدة الواحدة، فهو جزء بسيط منها، وتؤثر عليه أقسام تلك الوحدة الواحدة كما يؤثر هو فيها. إن الوحدة الواحدة تشترك مع بعضها لتعطي منتجاً ما، وهذا المنتج هو إما فكرة أو تفكير أو أوامر عمل الإنسان فضلاً عن أوامر العمل الاعتيادية التي تصبح عادة يعتادها الجسم دون تفكير.. فالوحدة الواحدة هي الأجزاء الموجودة في جسم الإنسان التي تشترك مع بعضها بعضاً بشكل أو بآخر، وبشكل جزئي أو كلي حسب الغرض المطلوب، وحسب المسألة والموضوع المعالج الذي سوف تنتجه الوحدة الواحدة لتقدم عملاً فكرياً، أو عملاً إبداعياً مادياً أو ليأمر الجسم بعمل ما.. وأقسام الوحدة الواحدة هي (الغريزة - اللب - العقل - الذاكرة - اللاوعي - الحواس) ونستطيع أن نجزّئ عمل الوحدة الواحدة إلى جزأين:

الجزء الأول هو (الغريزة – اللب – العقل) وسنطلق عليه تسمية الوحدة الأساس، أما الجزء الثاني فهو (الذاكرة – اللاوعي – الحواس) وسنطلق عليه تسمية الوحدة الثانوية.

يعمل الجزء الأوّل بشكل داخلي ويكون منسجماً مع طبيعته في الحالة الصحية، وكل منطقة مستقلة عن الأخرى في بعض العمليات، ويشترك مع المنطقتين الأخريين، أو مع منطقة واحدة فقط حسب المسألة الموضوعة تحت الدراسة، أما الجزء الثاني من الوحدة الواحدة فعمله هو صلة الوصل بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، ولكن يعمل بشكل منفصل أي كل منطقة من الجزء الثاني تعمل على حدة، وبإمكاننا أن نعدَّ منطقة الغريزة هي المحرك العام الذي يتصل بالعملية الفكرية ويشارك بها فمن عنده دوماً تكون الانطلاقة لأنه هو المحرك الأساسي لكل تلك العمليات المنتجة، لكننا نرى أن الغريزة لا تشارك في عملية المواضيع والحلول العلمية البحتة، لذلك سنعتبر أن الغريزة تتقاطع مع مركز الدماغ بشكل تمثيلي.. والمخطط التمثيلي التالي يوضح ذلك..

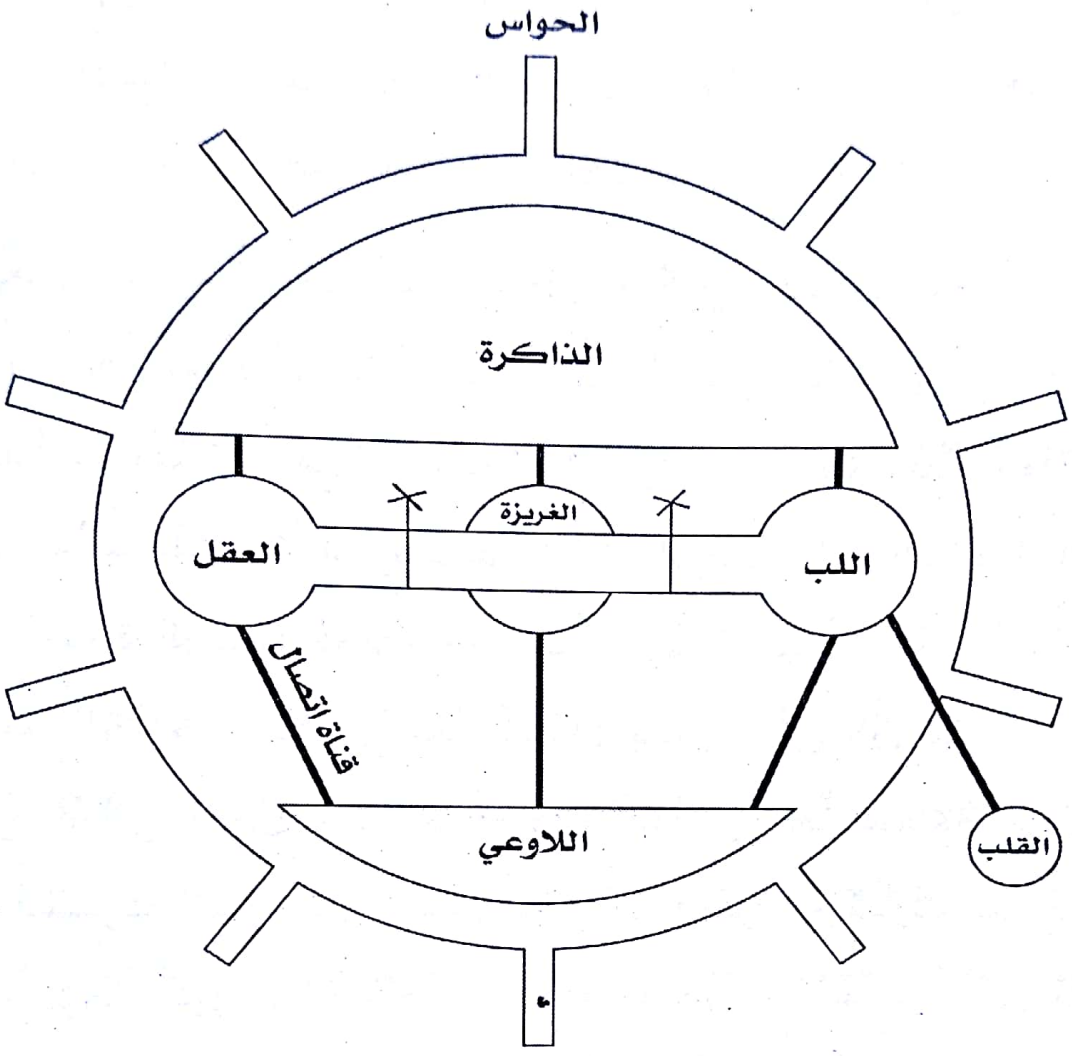

شكل الوحدة الواحدة في الموجة الثالثة

شكل رقم (١)

- شرح مراحل المخطط التمثيلي للوحدة الواحدة:

سنشرح المخطط التمثيلي للوحدة الواحدة آخذين بعين الاعتبار مراحل نمو الإنسان، ونمو العالم الداخلي هنا يتشابه إلى حد كبير مع النمو الجمعي للحالة المجتمعية.

إنّ أوّل شكل للوحدة الواحدة في مرحلتها الأولى، تكون فيه منطقة الغريزة متمركزة ومتمحورة مع كامل الوحدة الواحدة بالمركز، وتكون مساحتها كبيرة تقارب مساحة الوحدة الواحدة تقريباً إلا قليلاً، بعدها تبدأ منطقة الغريزة عملية الانكماش ليحل مكانها عناصر أخرى بالظهور والنمو، وأوّل ما تتشكل أقسام الجزء الثاني وهي اللاوعي والذاكرة والحواس الخمسة، ثم تتشكل نواة اللب ونواة العقل بالترتيب.

إنّ هذا النمو ما هو إلا بداية تكوين أجزاء الوحدة الواحدة، وهو لا يأخذ في تشكيله المساحة النهائية لكل منطقة من مناطق الوحدة الواحدة، بل كل منطقة تكبر أو تضمر حسب تفعيل هذه المنطقة أو تلك، ومن ثمَّ كي يتوازن الفرد عليه أن ينمي كل الأقسام التي تعطي الفائدة للعالَمَين الداخلي والخارجي وهي تقريباً كل الأقسام ما عدا الغريزة واللاوعي وهما أخطر قسمين في الوحدة الواحدة. والشكل التالي يبيّن لنا شكل الوحدة الواحدة الخام - أي لحظة وجود الإنسان على سطح الكرة الأرضية.

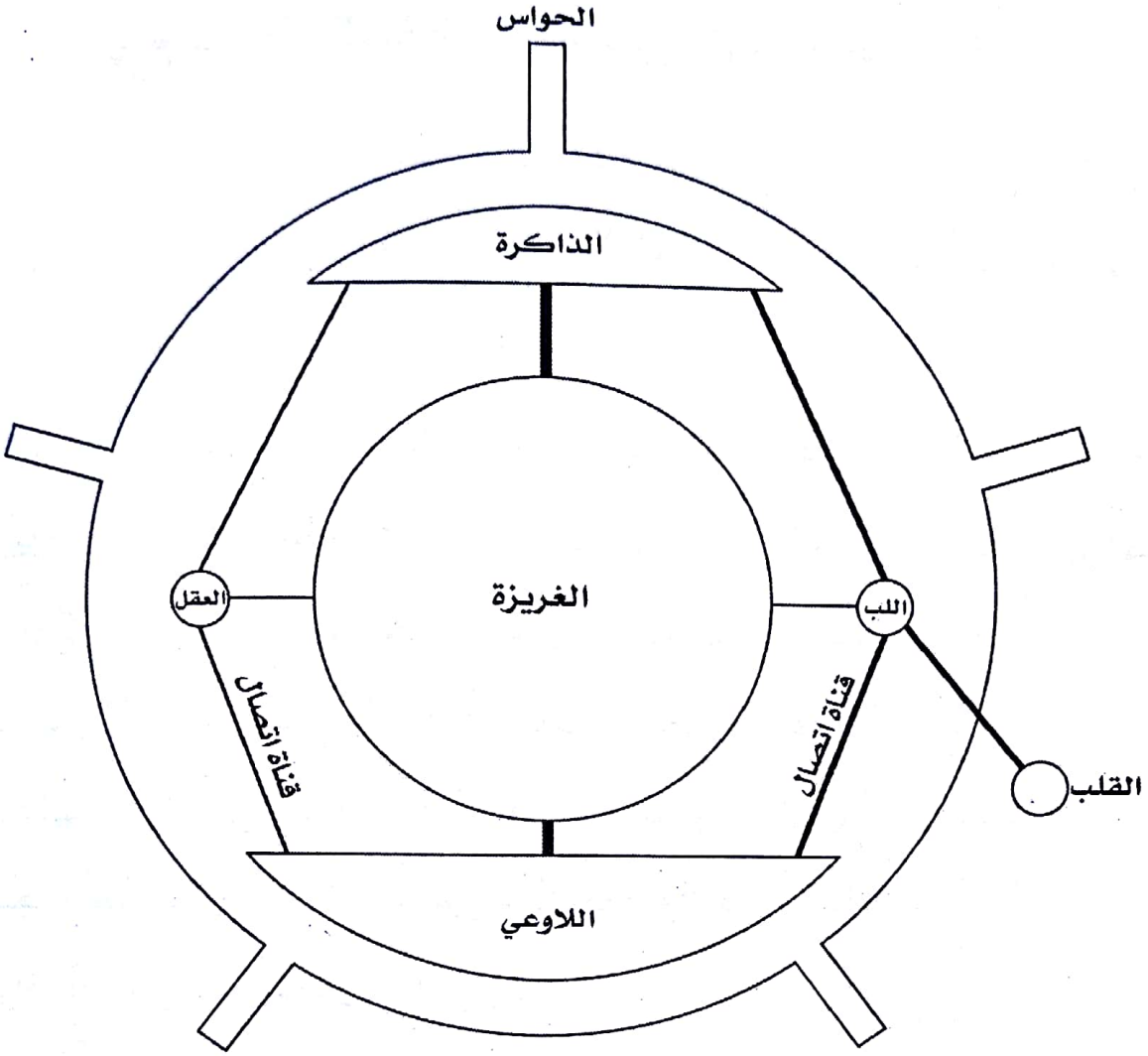

شكل الوحدة الواحدة في اللحظة الأولى (صفر)

شكل رقم (٢)

لقد سمينا الجزء الأوّل من الوحدة الواحدة باسم الوحدة الأساس وهي (الغريزة – اللب – العقل)، إن نمو هذه الوحدة الأساس تتم بنمو اللب والعقل إلى الشكل الأمثل لهما وضمور الغريزة[١] إلى الشكل الأمثل لها، ويتم ذلك من خلال التدريب

---

(١) إن كلمة ضمور الواردة سابقاً لا تعني زوال صنف أو نوع من أنواع الغريزة، لكنها تعني تهذيب وصقل تلك الغريزة نتيجة تطور الحركة الإنسانية.

والتعليم وفق منهج علمي متميز، فتزداد مساحة منطقتي اللب والعقل على حساب مساحة منطقتي الغريزة واللاوعي، عندها تصل الوحدة الواحدة إلى الوعي الكامل فيتوقف هذا المحرك (الغريزة) عن الهيجان، ويبدأ عمله بانتظام وبالتنسيق بينه وبين العقل واللب، ومن ثم يفتح داخل الغريزة قناة تواصل تصل بين اللب والعقل.. فيملك هذا المحرك ثقافة إنسانية عالية المستوى، ويكون إحساس الحواس أعلى، لأن تطوير الجنس البشري هو الذي سيؤدي إلى نمو وتطوير الطبيعة، وبذلك تعمل الحواس بشكل آخر ولون مختلف فيه جمالية، وبصيرة عليا.. فالإحساس هو أعلى درجة من درجات الوعي.. والبصيرة هي لحظة يتجلى فيها العقل واللب، ويتحدان مع بعضهما بعضاً بهذه القناة التفاعلية التي حفرتها ضمن الغريزة نتيجة التدريب والتعليم المنهجي، فيؤدي إنتاج هذه القناة التفاعلية إلى تعطيل جزء أو ضمور جزء من الغريزة ليحل محله جزء من هذه القناة التفاعلية ليتم التواصل بين العقل واللب ونصل إلى قمة التوازن وإلى قمة الحالة الإنسانية، فالعقل واللب يمثّلان كفتي ميزان والغريزة هي حامل هاتين الكفتين والوضعية تكون في حالة التوازن.. والشكل التالي يبيّن تحوّل شكل الوحدة الواحدة في مرحلته الخامسة الموافقة للموجة الثالثة..

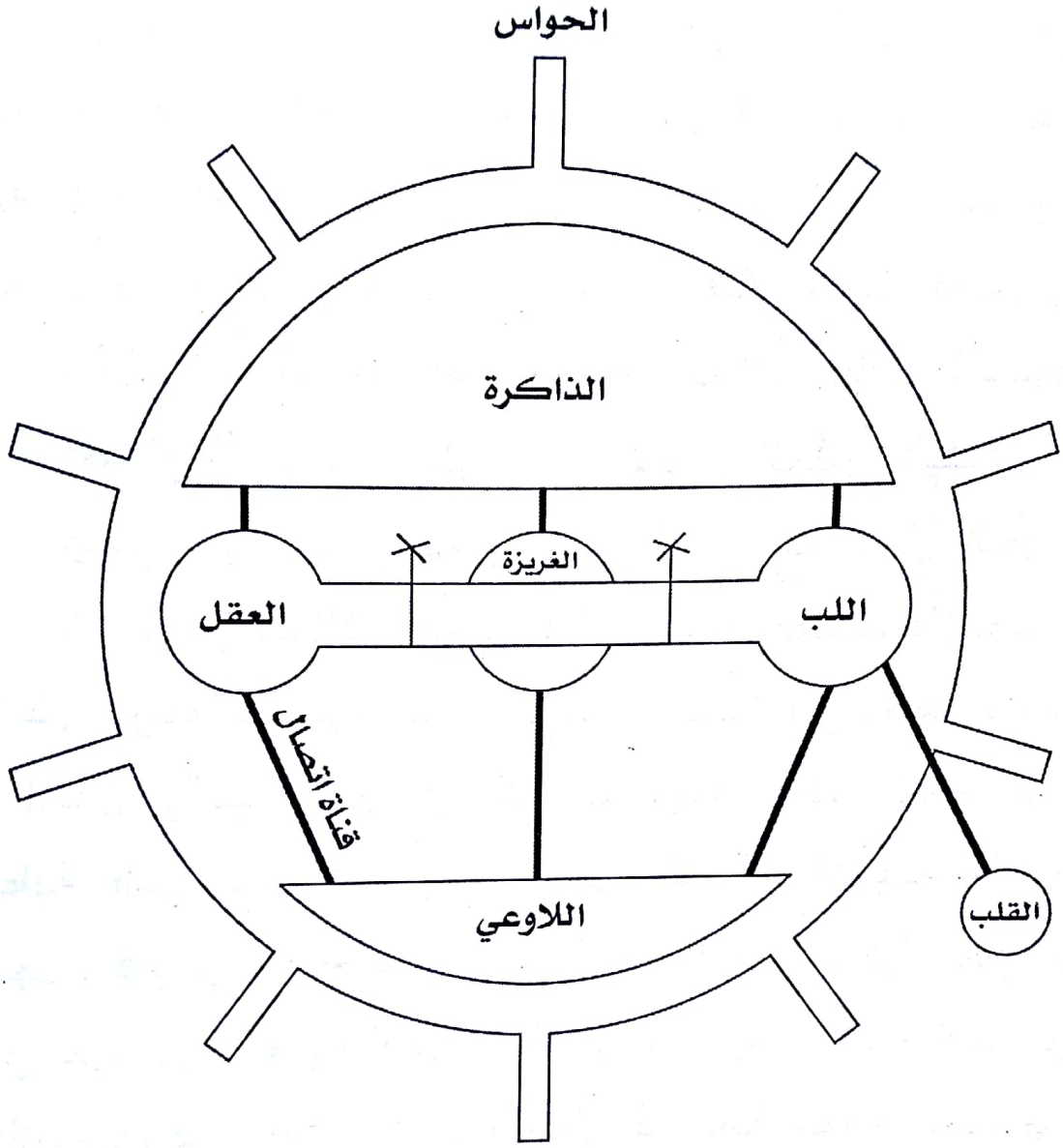

شكل الوحدة الواحدة في الموجة الثالثة

شكل رقم (٣)

هناك قناة تفاعل تصل بين مناطق الجزء الأوّل من الوحدة الواحدة، وأقنية تواصل تصل بين منطقتين من مناطق الجزء الثاني، وهما اللاوعي والذاكرة، وبين مناطق الجزء الأوّل من الدماغ، في حين تكون الحواس على محيط الدماغ لتكون صلة الوصل بين مكونات الوحدة الواحدة للعالم الداخلي والعالم الخارجي.

إنّ اللب موجود في القسم الأيمن من الوحدة الواحدة، بينما العقل موجود في القسم الأيسر من الوحدة الواحدة، ومن ثم نتوافق مع الشكل العام للنظرية التي تقول إن (الجانب الأيمن من الدماغ هو جانب تجميعي بينما الجانب الأيسر من الدماغ هو جانب تحليلي) أضف إلى ذلك أن الغريزة موجودة في كلا الجانبين، وكذلك اللاوعي والذاكرة موجودان أيضاً في كلا الجانبين ويتصل اللب مع القلب عن طريق قناة تواصل، فاللب إذن يملك الإبداع والخيال، وهو أهم من العقل، وتعمل الفنون على تغذيته ولاسيما الموسيقا، في حين تعمل العلوم المادية على تغذية العقل وأهمها الرياضيات والفيزياء والمنطق والفلسفة، فالعقل جزء من أجزاء الوحدة الواحدة لكنه بشكله المستقل والمنفصل، لا يقوم بأي عمل.

لا شك أن الوحدة الواحدة للإنسان تطورت عبر العصور، فقد أثّر العالم الخارجي بها كما أثّرت هي بالعالم الخارجي، وهذا التأثير المتبادل أدى إلى تطور الوحدة الواحدة، وهذا التطور أدى إلى تطوير العالم الداخلي وكذلك العالم الخارجي.

وبمرور الزمن ومن خلال محاولة الإنسان درء المخاطر عنه واستغرابه ظواهر الطبيعة، وخشيته منها، بدأ باستخدام اللب لأنه بحاجة إلى الشعور بالطمأنينة فأخذ ينفّذ الأعمال التي لا تتطلب جهداً كبيراً من العقل، لأن العقل لا يزال من غير مخزون ثقافي، بل تتطلب جهداً كبيراً من الإبداع، فأخذ اللب يعمل على حماية نفسه من المخاطر فقام بحفر أخاديد ومغارات على سبيل المثال من أجل أن يحمي نفسه من الطبيعة والوحوش، ونستطيع أن نسمي هذا الإبداع الإبداع المرئي)، لأن تلك الإبداعات في ذلك العصر لا تحتاج إلى علوم، بل تحتاج إلى خيال أو تقليد، فعلى سبيل المثال، الحيوانات تحفر جحورها بيدها، ودور العقل هنا ثانوي لأن الوحدة الواحدة كانت تعتمد على الملاحظة وعلى المعلومات التي كانت تلتقطها الذاكرة من خلال مشاهداتها لشكل الطبيعة.. لذلك نلاحظ أن اللب ازداد بشكل ملحوظ بينما العقل ازداد بشكل بسيط وازدادت مساحة الذاكرة بسبب تخزينها للصور والمعلومات التي لم تكن تعرفها من قبل، وضمرت مساحة اللاوعي قليلاً لأنه استطاع أن يحل بعض الألغاز، وضمرت الغريزة لأنها تخلصت من التفكير في أمور حلَّت لها، ونفّذت لها مثل المسكن في المغارات، والتدفئة من خلال اكتشاف النار في الألف الثلاثين قبل الميلاد حسب بعض المؤرخين، وكذلك الحماية من الرياح والأمطار والأعاصير... إلخ، وهذا الكلام صحيح على مبدأ أن العضو الذي لا يعمل يضمر، فصغر

مساحة التفكير ضمن الغريزة سوف يؤدي إلى ضموره، وضمور منطقة اللاوعي سببه أنه عدَّ نفسه قد حلّ تلك المشكلات ولا توجد مشكلات أخرى في حالة استقرار الحالة حسبما يزعم هو، وهذا التعبير في مسألة اللاوعي هنا تمثيلي لا بيولوجي.

لقد استعملنا كلمة تفكير للغريزة وكذلك للاوعي، فنقول إن كل أقسام الوحدة الواحدة تفكر بما فيها الحواس وليس فقط العقل واللب، ومن ثم يكون شكل الوحدة الواحدة الموافق للموجة صفر كما يلي:

سمينا العصور التي سبقت مسألة اكتشاف الزراعة بعصور (ما قبل الموجة الأولى) أو (الموجة صفر) أما عصر اكتشاف الزراعة والانتقال إلى حياة الاستقرار فسميت (الموجة الأولى) وهذه الموجة بدأت في القرن العاشر قبل الميلاد، وضمت العصر الحجري الأخير (العصر النيوليتي)، والعصر البرونزي، والعصر الحديدي.

إنّ انتقال الإنسان من مرحلة التنقل إلى مرحلة الاستقرار، أدت به إلى بداية التفكير في منحى جديد وهو الالتصاق بالأرض والثبات بها، وأصبح يعي قيمتها فعمل على ترتيبها كما يشاء، فبدأ يفكر بذلك، ويعمل على بناء الأرض التي كلّفنا الله ببنائها على أكمل وجه، فشرع باستخدام عقله وإجهاده ليبني تلك الأرض، ومن ثمَّ بدأت تكبر منطقة العقل ومساحة الذاكرة وتضمر قليلاً جداً مساحة الغريزة، أما مساحة اللاوعي فقد عادت وعززت مساحتها

من جديد، كما ازدادت مساحة الذاكرة لتتمكن من استقبال المعلومات الجديدة المكتسبة من خلال العمل والاكتشافات والاختراعات، وصار الدماغ يأخذ شكلاً جديداً كما يلي:

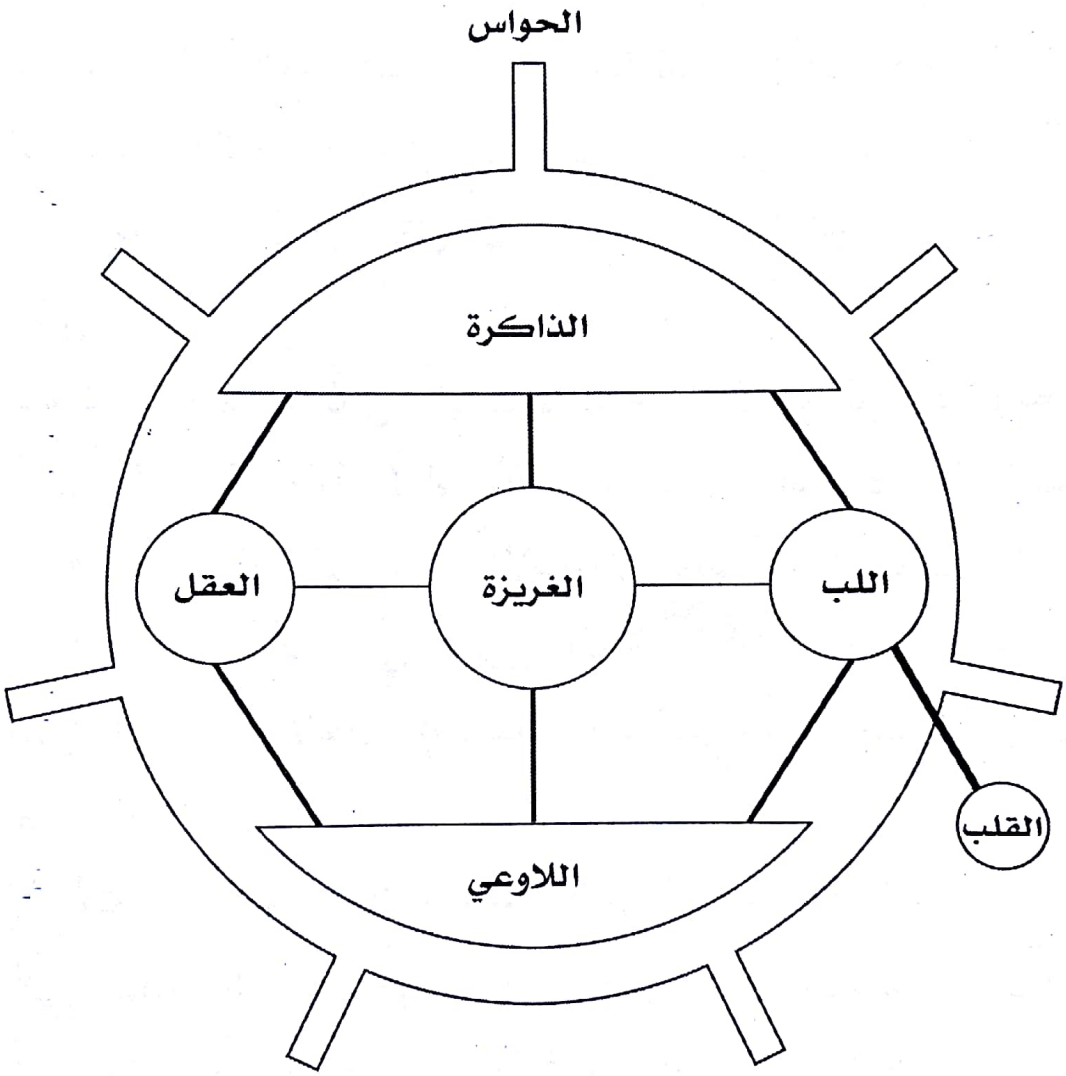

شكل الوحدة الواحدة في الموجة الأولى

شكل رقم (٤)

لقد بدأت الموجة الأولى (موجة الزراعة) من القرن العاشر قبل الميلاد واستمرت حتى القرن السابع عشر ميلادي، وفي بعض الأمم استمرت حتى القرن الثامن عشر، وبعضها إلى القرن التاسع عشر وبعضها إلى القرن العشرين، وبعضها لا يزال يعيش ثقافة الموجة الأولى والأمة العربية هي واحدة من هذه الأمم، وعلينا أن نعترف بذلك كي نضع حلولاً من أجل النهوض..

إنّ الأمم التي انتقلت من الموجة الأولى إلى الموجة الثانية أي من (موجة الزراعة) إلى (موجة الصناعة)، قد تغير تركيب الوحدة الواحدة عندها بشكل كبير، وأنتجت ثقافة مختلفة عن ثقافتها السابقة التي كانت تعيشها أثناء الموجة الأولى لأن لكل موجة ثقافة خاصة بها، وهذا ما يجب علينا كأمة عربية أن نفعله وإلا ستذهب ريحنا سدى..

لقد أخذت الوحدة الواحدة على عاتقها كل هذا الانتقال من الموجة الأولى إلى الموجة الثانية بفضل العلماء والمفكرين والعباقرة والفلاسفة والمبدعين، فكانوا مقدمة لبناء أممهم ومنارة لها من أجل أن تنهل من هذا المعين كي تنشر الثقافة الخاصة بالموجة الثانية، فلا يكون انتقال سليم وعلى أرضية سليمة إذا انتقلت الأمة من الموجة الأولى إلى الموجة الثانية وظلت متمسكة بثقافتها الأولى عندها سيكون هذا المولود مولوداً مشوهاً مبنياً على ثقافة نتنة، وسيؤدي إلى تدمير تلك الأمة في أي لحظة من اللحظات..

لقد استطاع الغرب السيطرة على أكثر القارات إن لم نقل كلها تقريباً لأنه كان السباق في الانتقال من الموجة الأولى إلى الموجة الثانية، وأهم مقوم من مقومات ثقافة الموجة الثانية هو المنطق والفلسفة، وظهور علوم جديدة متطورة نوعاً ما..

إنّ الوحدة الواحدة في هذه الحالة أخذت شكلاً جديداً هو ضمور في منطقة الغريزة، لعدم التفكير في أمور غرائزية لأنها أصبحت متوافرة وضمن متناول اليد، وضمور في منطقة اللاوعي لأنه تمّ حل الكثير من المسائل عن طريق المنطق والفلسفة، وازدياد مساحة كل من العقل واللب المنتجَيْن لتلك الثقافة الجديدة مع تغير في طبيعة عمل اللب، أو بالأحرى مع ظهور المهمة الفاعلة الأكبر لعمل اللب، وهو انتقاله من عملية التفكير بالإله الواحد إلى عملية التطبيق لما يريده الإله الواحد، أو إلى التطبيق دون التفكير بالإله الواحد، وذلك يعود إلى طبيعة عمل هذه الوحدة الواحدة، وعمل هذا الإبداع الجديد على حفر قناة تفاعل بين اللب والعقل ضمن الغريزة، مما أدى إلى إخماد هيجان تلك الغريزة بشكل كبير نسبياً، وكذلك ازدادت مساحة الذاكرة كي تستطيع تخزين تلك الكميات الهائلة من الصور والمعلومات. والشكل التالي يوضّح شكل الوحدة الواحدة الموافق للموجة الثانية..

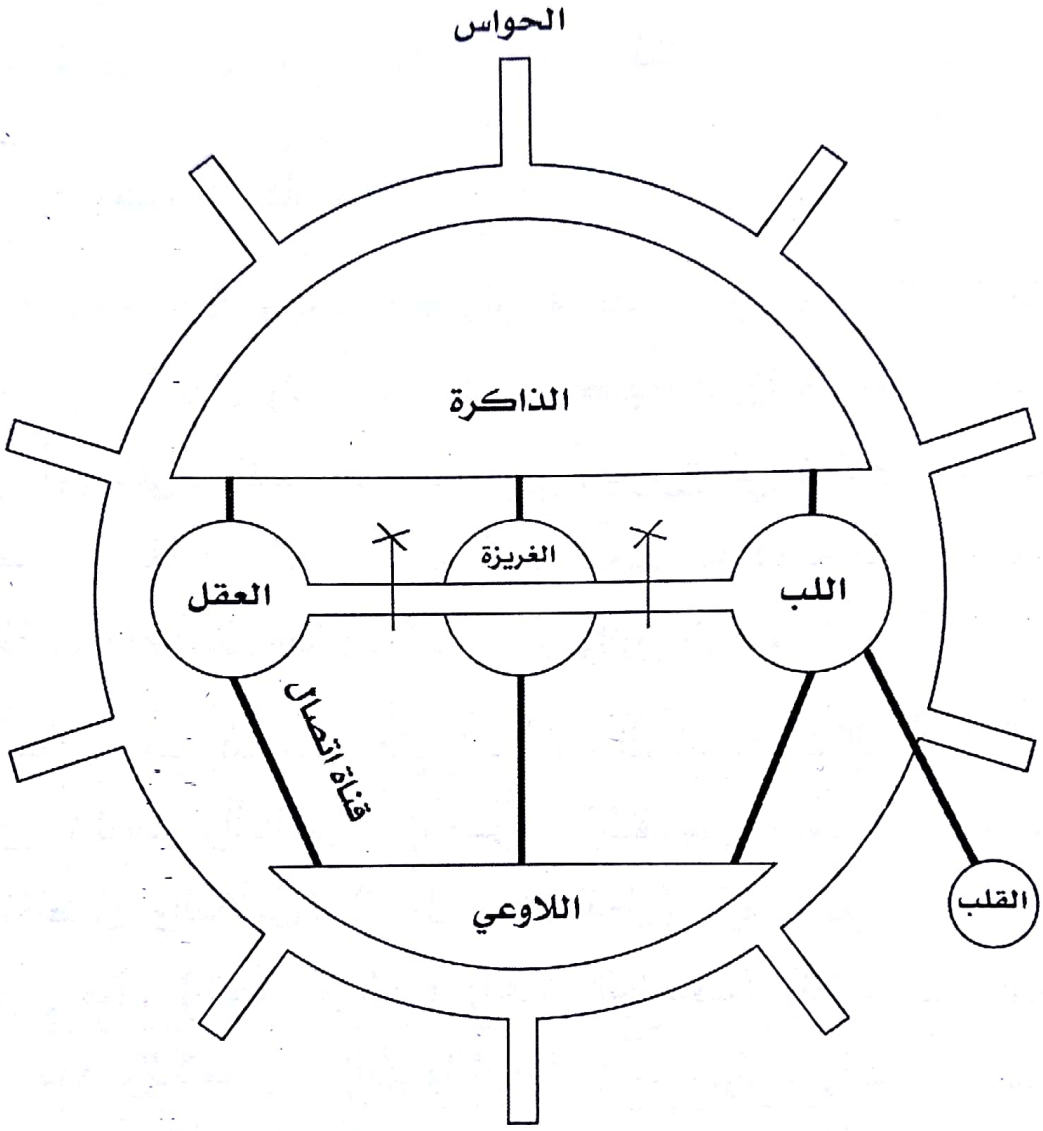

شكل الوحدة الواحدة في الموجة الثانية

شكل رقم (٥)

إنّ الفارق بين شكل الوحدة الواحدة في الموجة الثانية وشكلها في الموجة الثالثة، نجده في زيادة عرض القناة التفاعلية في الموجة الثالثة كما في الشكل رقم (١) السابق.

- الوحدة المتكاملة:

لا وجود إلا بوجود عنصرَيْن مختلفَيْن من حيث البنية متفقين من حيث العمل والغاية، وبالتالي يصبح تعريف الوحدة المتكاملة هي أي شيء يتحدد بـ ويميل إلى ويتوازن في نهاية المطاف مع نقيضه ليشكل وحدة متكاملة، هذه الوحدة المتكاملة تكون نواة لبناء حالة مستقرة وطبيعية وتتناسب مع قوانين الطبيعة.

مثال على ذلك: لا تتم العمليات الحسابية بشكلها الأمثل من دون (الزائد والناقص) (الضرب والتقسيم) (السالب والموجب) (التفاضل والتكامل) (الفعل ورد الفعل)، ومنه نصل إلى أمور أخرى مثل (الخير والشر) (القوة والضعف) (الشجاعة والجبن) (المادية واللامادية) (الله والشيطان)..... إلخ، والقائمة تطول.. يتبين لنا أن الحياة لا تكتمل ولا تتم إلا بثنائية (المثنوية) وهذه الثنائية تُعدّ طرفي المعادلة فلا وجود لمعادلة مؤلفة من طرف واحد لذلك لا بد من المكمل و المتمم.. وما دام العالم الداخلي يتألف من مثنوية هما الجسد والروح.. فلا بد من وجود منطقة مسؤولة عن الروح، وما دامت هذه الروح مرسلة من عند الله فلا مناص من علاقة وطيدة واتصال مباشر مع واضع هذه

الروح، لأنها جزء منه وهذه المنطقة هي منطقة اللب حيث تعمل وتوجه المرء بالاتجاه العمودي في حين يعمل العقل على توجيه المرء بشكل أفقي، وهذا المسار الأفقي هو حركة تطور التاريخ الإنساني للبشرية التي وجد فيها الإنسان للعمل من أجل ذلك، فحياة دون بحث لا تستحق أن نعيشها، وهذا هو الإيمان الحقيقي، والغرض الحقيقي من وجودنا.. فقد وجدنا هنا في هذه الدنيا ليس من أجل اللعب أو اللهو[٢] ولا حتى السعادة، وجدنا بهذه الدنيا لإنجاز ما يترتب علينا من عمل، وهذا هو الامتحان الحقيقي من الله الذي يؤدي بالنتيجة إلى السعادة الحقيقية.. فهناك فارق كبير بين الاستمتاع واللهو، فالحياة دون بحث هي حياة لهو لا خير فيها ولا منها وسعادتها وهمية ومؤقتة، أما الحياة المليئة بالبحث والإنجاز فهي الحياة التي تؤدي إلى الاستمتاع والسعادة..

- المادية واللامادية:

سوف نوضح مثنوية من هذه الوحدة المتكاملة الموجودة في العالم الداخلي والعالم الخارجي، فالمادة (المادية) هي كل عنصر يرى بالعين المجردة أو بوسائل أخرى وترسم بشكل صورة وتأخذ شكلاً ما ولها مواصفات ما نستطيع دراستها بوسائل معينة.. أما اللامادية فهي بكل بساطة عكس المادية أي لا تدرك ولا تملك شكلاً أو صورة، ولا نستطيع دراستها بوسائل تتعامل

---

(١) نقصد باللعب واللهو كل عمل لا فائدة منه.

مع المادة أي لا نستطيع تطبيق الوسائل والتجهيزات المادية على اللامادية، وإنما نحسها حساً بالإحساس.. فاللامادية (الميتافيزيقيا) هي المحرك العام للكون الذي يتكون من (العالم الداخلي والعالم الخارجي على اعتباره كتلة واحدة) ليصل إلى الهدف المنشود المرسوم له.. ولاشك أن معظم الفلاسفة إن لم نقل الكل تناولوا هذا الموضوع الميتافيزيقي مستخدمين العقل.. مع العلم أن العقل يتعامل مع الصورة ومع الأشكال من خلال تشكيل المادة، فهو يشكّل المادة وبعدها تلعب هذه المادة المشكلة دوراً كبيراً في تطوير أفكار العقل الذي يقوم بتطوير المادة المشكلة من جديد ليعطيها شكلاً جديداً، مع العلم أن العقل يتعامل مع المادة من خلال الوحدة الواحدة، ولكن في هذه الحالة يكون العقل هو القائد لهذه الوحدة الواحدة، أي أن العقل يترأس الوحدة الواحدة في حال تعامله مع الأشياء المادية، مشكلاً قيمة جديدة يضيفها إلى الذاكرة التي هي الخزان العام لأعمال الوحدة الواحدة الذي ينتجه عالمه الداخلي ليعطي هذا المنتج الجديد إلى العالم الخارجي.

إذن للعقل قوانينه، وهذه القوانين تنسجم مع قوانين الطبيعة المادية، لكنها لا تنسجم مع قوانين الميتافيزيقيا المتعلقة باللامادية.. فللميتافيزيقيا قوانين أخرى لا تلتقي ولا بشكل من الأشكال مع قوانين المادة (الطبيعة المادية)، ولكنها مكملة لها للوصول نحو الهدف المرسوم، وهو تطوير الجنس البشري وتطوير كل شيء يساعد على تطوير هذا الجنس البشري، وهنا

نصل إلى حقيقة أن العقل لا يستطيع أن يدرك ما وراء الطبيعة أي أن العقل لا يستطيع أن يدرك أو يتصور أو يتخيل (الله)، لذلك نرى أن كل الشعوب على مر التاريخ أفسدت بتصوراتها وتخيلاتها ماهية الله فوضعت له صوراً، وأنتجت أفكاراً وآمنت بها، وهي بعيدة كل البعد عن تصورها لله، وأكثر الناس الذين لعبوا دوراً في هذا المجال هم رجال اللاهوت ورجال الناسوت، الأمر الذي انبثق عنه ديانات ما أنزل الله بها من سلطان، ولو أحصينا تلك الديانات التي توالت عبر التاريخ لما استطعنا أن نحصيها، إذ جعلوا من الديانة الواحدة عدداً كبيراً من الديانات والسبب في ذلك تدخل العقل والغريزة في مثل هذه المسائل الميتافيزيقية.. ونقصد بتدخل العقل والغريزة هنا أن العقل أو الغريزة، يحاول كل منهما أن يكون قائداً لتلك الوحدة الواحدة في حل هذه المسائل الميتافيزيقية

إنّ مكان حل المسائل الميتافيزيقية هو منطقة اللب، ويجب أن يكون اللب هو قائد تلك الوحدة الواحدة في مثل هذه المسائل، وأما باقي أقسام تلك الوحدة الواحدة، فما هي إلا أقسام مقودة لهذا اللب الموصول مع القلب بقناة اتصال ليتبادل معه المعلومات الحسية. فاللب يتجه بشكل عمودي ليصل إلى الله، في حين يتجه العقل بشكل أفقي ليعمل على تطوير الطبيعة والمادة التي من أجلها وجد الإنسان، ولكن عندما ينسجم اللب مع العقل، ويعملان بحالة تناغم في الأمور الميتافيزيقية وبعض الأمور المادية،

تتعزز عملية التواصل بينهما عن طريق قناة التفاعل، فيقوم العقل وقتها بأعمال يمليها عليه اللب، وهي حالة الزاهد والمؤمن الحقيقي - لا نقصد بكلمة المؤمن هنا الشخص الذي يؤدي الطقوس أو يتقيد بالديانات بشكل عام - ولا يبلغ اللب أوجه إلا إذا تخلص القلب من الصفات التي تفسده كالبغض والحقد والغل و... إلخ، واستبدل بها صفاتٍ حميدة.

إنّ الديانة ليست هدفاً أو غاية وإنما وسيلة، بينما الله هو الغاية والهدف الأسمى، فلم تعد الديانة هي الوسيلة الوحيدة التي توصلنا إلى الله لأن الديانة لم تعد تملك الحقيقة المطلقة، ولا شك أن الديانة في العصور الغابرة كانت أهم وسيلة للوصول إلى الله إن لم نقل كانت الوسيلة الوحيدة، لكنها الآن أصبحت إحدى الوسائل فقط وليست أفضلها بينما الوسيلة الأهم والأقوى في هذا العصر هو العلم لأنه عمل على اكتشاف الحقائق للوصول إلى الحقيقة المطلقة أي الله.. فالله هو الحقيقة المطلقة وما تبقى يجوز التأويل كما يجوز التبديل والنفي لاحقاً أي أن مرور الزمن يغير كل حقيقة غير مطلقة وبما أنه لا توجد حقيقة مطلقة غير الله فكل الحقائق الأخرى قابلة للتغيير. كما ذكرنا سابقاً لقد لعب رجال اللاهوت في بداية الخليقة بشكل سلبي ولكن قلنا أيضاً إنَّهم لعبوا وقدموا بعض الإيجابيات ومنها التنظيم والتخطيط لتلك المجتمعات بما يلائم ذلك العصر الموغل في القدم، وعملوا على وضع قواعد أخلاقية تضبط عادات وتقاليد وتصرفات وسلوك

تلك المجتمعات كل حسبما ترى كهنته وبما يتلاءم مع طبيعتها، حتى الديانة في هذه المسألة الأخلاقية لم تعد الوسيلة الوحيدة والكافية لتحقيق الأخلاق الحميدة المناسبة لتلك المجتمعات.. لكن نستطيع القول إنها تعين وتساعد في نشر الأخلاق الحميدة وبالوقت نفسه نقول إنها ليست الوحيدة وغير كافية أيضاً لأن حركة التطور الإنساني وحركة تطور الوحدة الواحدة وبالأخص الوحدة الأساس أنتجت وسائل أخرى أحدث وأقرب للعقل وهي من قوانين العقل ألا وهو المنطق والفلسفة والعلم.. إذن الأدوات القديمة لم تعد تفي بالغرض، وتقدم المفعول نفسه الذي يقدمه العلم والمنطق والفلسفة.

والآن يحق لنا أن نسأل هذا السؤال : ما دام العلم والمنطق والفلسفة هي وسائل جديدة وحديثة وأكثر فاعلية من الديانة، فلماذا لا نزال نستخدم الديانة وحدها فقط؟

والإجابة ببساطة: ليست الديانة هي التي تسيطر وإنما رجال اللاهوت والناسوت، والدين منهم براء، لقد استخدمنا كلمة ديانة لا كلمة دين ونحن بذلك قاصدون لا ساهون، فهناك فارق كبير بين الدّين والدّيانة.. فالدّين هو أمر لا بد منه على كل إنسان، ويعني أن تسلم كل أمرك إلى الله، ويكون عملك لوجه الله وتسعى في تحقيق غاية الله، ألا وهي بناء هذا الكون على الشكل الأمثل وهذا هو الامتحان الحق، فالله خلقنا كي نخلق ولكن الله هو أحسن الخالقين، فمن يخلق غير الله سوانا لذلك يقصدنا الله

عندما قال في كتابه العزيز (فتبارك الله أحسن الخالقين)، أما الدّيانة فهي شريعة وضعت في زمن ما ولا تصلح لكل الأزمنة، فيجب إبقاء ما لا يزال صالحاً منها، وإلغاء ما يعوق حركة التطور الإنساني..

- اللغة:

الكلمات مثلها مثل الكائنات الحية لها تاريخ ولادة وتاريخ وفاة، فكما للمرء تاريخ ولادة وتاريخ وفاة كذلك للكلمات تاريخ ولادة وتاريخ وفاة، وكما لكل شخص قيمة ما كذلك لكل كلمة قيمة ما، فالكلمات كالأحياء لكنها تصنعنا وتؤثر فينا أكثر مما نصنعها ونؤثر فيها نحن، وكما للكائنات الحية أصناف وأجناس متجانسة ومختلفة ومتضادة، كذلك للكلمات أصناف وأجناس متجانسة ومختلفة ومتضادة، وكل نوع أو صنف من هذه الكلمات له صورة أو طبيعة معينة.. فمثلاً.. عندما نقول (حديد - نحاس - سكر - ملح - كرسي - طاولة - تراب - بحص - ماء - خمر - سيارة - طائرة..... إلخ) فإننا نصنّف هذه الأصناف والأنواع من المفردات ضمن تسمية صنف المادة الذي نستطيع بدورنا، أن نصنفه ضمن قوائم متجانسة حسب نوع المادة، كما يدخل في هذا التصنيف أنواع الكائنات الحية والمدن والبلدان..... إلخ، لأن كل كلمة ترسم لك شكلاً أو صورة، فعندما نذكر كلمة سيارة على سبيل المثال فإنه يرسم لك في مخيلتك شكلاً ما من أشكال السيارات،

وكذلك عندما نذكر كلمة سكر سوف نتخيل السكر.. وهناك كلمات نستطيع أن نصنّفها ضمن أصناف أخرى لا تدل على شكل أو أي صورة لمادة ما مثل (فوق – ضمن – تحت – على – في – ..... إلخ) نستطيع أن نطلق على هذا الصنف من الكلمات صنف الوسائط، ومن الكلمات ما تدل على أنها تستخدم وتتعامل مع الحواس مثل (شاهد – رأى – سمع – لمس –...إلخ) نستطيع أن نسمي هذا الصنف صنف الحواس.. ويوجد صنف آخر يستخدم للتعبير عن وصف حالة ما، مثل (جميل – رائع – سريع – مفيد – ..... إلخ) سنسمي هذا النوع من الكلمات صنف الوصف على.. ومن الأصناف أيضاً صنف المصطلحات العلمية التي من خلال هذا المصطلح أو تلك نستطيع أن نعي الموضوع الذي نتكلم به مثل المصطلحات الطبية أو المصطلحات الهندسية أو المصطلحات الفلسفية وهكذا... إلخ، وتستطيع أن ترتب تلك الأصناف، وتقسم كل صنف حسب خصائصه.

كل كلمات الأصناف السابقة وأصناف أخرى تستطيع أن تنشئها لتتعامل مع المادة بشكل أو بآخر. كما أن بعض الأصناف السابقة تتعامل مع المادة ومع اللامادية مثل كلمات صنف الوصف، لكن هناك صنف من الكلمات تتعامل مع الميتافيزيقيا مثل (الرحمن – الرحيم – الله – العطف – الإيثار – الإيمان – الحقد – الغل – البغض.. إلخ) إن مثل هذه الكلمات تتعامل مع منطقة اللب المتصلة بالقلب عن طريق قناة اتصال.

- غاية وعمل الوحدة الواحدة:

تعمل كل منطقة من مناطق الوحدة الواحدة بالجزئيات لتصل مع بعضها البعض إلى الكليات وما هذه الجزئيات إلا مناطق للتفكير تقوم بالعمل الفكري الخاص بها. فإذا كانت هذه المنطقة هي من مناطق الوحدة الثانوية، فإن هذا التفكير الجزئي لا يولد عملية إبداعية، أو عملية تطوير أو على الأقل عملية تفكير بالعام، بل يولد عملية معرفة (تعرف) وبأحسن الأحوال عملية وظيفية.

مثال:

عندما نضع يدنا على قطعة من القماش دون أن نراها فإن هذا الإحساس بملمس هذه القطعة يثير تساؤلاً: هل هي حرير أو مخمل أو كتان أو شيء آخر؟ إن اليد في هذه الحالة هي التي تتعرف عليها وإن لم نرها بالعين، ودون المرور على منطقة العقل، بل يصل هذا الإحساس فقط إلى منطقة الحواس وبالأخص إلى حاسة اللمس، وإذا نظرنا بعيننا إليها فقط لنتأكد من صحة ما فكرت به حاسة اللمس، ثم تفكر حاسة اللمس بلون هذه القطعة من القماش، فتتعرف حاسة النظر إلى اللون دون أن تمر على منطقة العقل، فتفكير حاستي اللمس والنظر هذا، هو التفكير السطحي بماهية الأشياء التي لا تؤدي إلى العملية الإبداعية إنما تؤدي فقط إلى عملية معرفية (تعرف)، ولكن حين نفكر بماهية هذه القطعة من القماش، وما يجب أن نعمل بها، يكون التفكير

ناتجاً عن تدخل الوحدة الأساس في معالجة المسألة. طبعاً مثلنا هذا صحيح بعد أن يكون العقل قد قام بوضع أسماء لهذه المادة من القماش وسماها قماشاً، وتعرفت الوحدة الواحدة على ماهية القماش في وقت مضى، أي أن المعلومات عن مادة القماش مخزنة في الوحدة الواحدة، عندها تعمل كل منطقة باختصاصها. ولنضرب مثلاً آخر لنوضح تلك العملية بشكل جلي:

سنقوم بتدريب وتعليم شخص ما، ونعلمه مبادئ قراءة النوتة الموسيقية ثم نبدأ معه التدريب على آلة موسيقية ما سواء أكانت الآلة آلة وترية أم نفخية أم كهربائية وليكن العود على سبيل المثال: نرى أن الطالب عندما نعطيه تمريناً ما لينفذه على الآلة يبدأ به بشكل بطيء، وتدخل الوحدة الواحدة أو جزء منها في عملية المحاكمة لتبين للطالب أين يضع أصابعه وكيف يضرب الريشة وكم زمن هذه العلامة أو تلك، وبعد فترة من الزمن نجد أن هذا المتدرب بدأ يعزف المعزوفة دون أن يتدخل أو يقوم العقل بأي مجهود، أي أن الأصابع تذهب وحدها إلى أماكنها الصحيحة لتقوم بالغرض المطلوب، وتعزف المقطوعة الموسيقية على أكمل وجه، وكأن العقل أصبح في الأصابع أو في اليدين دون تدخل العقل بهذه العملية.

طبعاً لا نقصد أن العقل أصبح باليدين بشكل فعلي، ولكن هناك في كل منطقة من مناطق الوحدة الواحدة مختصة أماكن مختصة بالتفكير، ولكل حاسة على سطح الوحدة الواحدة منطقة

تفكير خاصة بها، ولنفرض أنها على سطح الوحدة الواحدة أي على سطح الدائرة في المخطط التمثيلي للوحدة الواحدة. لذلك نجد الاستجابة وأداء المهمة بسرعة تقف على إمكانية تلك المنطقة الخاصة بالتفكير السطحي.

إنّ هذا التفكير السطحي هو مقدمة لعملية التفكير الإبداعي عند وجود قوة فاعلية للوحدة الأساس، فمثلاً في مثالنا الأول نجد أن حاستي اللمس والنظر هما اللتان حددتا مساحة قطعة القماش ولونها ومساحتها وفرضتاها على الوحدة الأساس، ولكن إذا تصورت الوحدة الأساس القطعة التي استمدها التفكير من الخيال حيث إن منطقة الخيال قائمة ضمن منطقة اللب عندها يكون توجيه تفكير العقل مختلفاً، ويستطيع أن يفعل بهذه القطعة وهذا الخيال ما يريد، لأن حاستي اللمس والنظر غير موجودتين في هذه الحالة.. سنسمي كل منطقة تختص بالتفكير السطحي بالعقل الثانوي أو (العقل السطحي)، ومن ثمَّ يكون لكل منطقة من مناطق الوحدة الواحدة عقل ثانوي.

إنّ أغلب الأشخاص العاديين المنتمين إلى الموجة الأولى يستخدمون تلك العقول الثانوية، لأن منطقة العقل وكذلك منطقة اللب لا تعمل بشكلها الصحيح والأمثل إلا إذا تمَّ تخزين معلومات كبيرة وحاسمة، تعمل هذه المعلومات كالوقود لإدارة العقل واللب، وهذه المعلومات لا تأتي إلا عبر دراسة المنطق والفلسفة

والعلوم الأخرى دراسة جدية لا دراسة وظيفية، والهدف منها تقطيع مرحلة مفروضة علينا في مرحلة ما من مراحل حياتنا (سنوات الدراسة).. لنتعرف على غاية وعمل كل منطقة من مناطق الوحدة الواحدة، ولنبدأ بالمحرك العام..

- **التفكير بالغريزة:** (الغريزة هي القائد)

هدف الغريزة هو الصراع من أجل البقاء (حب البقاء) فهي المحرك العام والأساسي لكل منجزات الإنسان المادية، ولكن حين تنجز الغريزة عملاً ما فإن هذا العمل سوف يخرج مشوهاً، أو يكون عملاً حيوانياً إن لم تشارك معها باقي مناطق الوحدة الأساس أو واحدة منها على الأقل، فيخرج العمل مشوهاً أو عملاً حيوانياً بحتاً لا يخدم حركة التطور الإنساني.

إنّ الحواس بالنسبة للغريزة هي عامل تحريضي ويصبح هذا التحريض تحريضاً سلبياً عندما لا تشارك الغريزة منطقة واحدة على الأقل من مناطق الوحدة الأساس، ومن ثمَّ تشكل العاطفة في هذه المسألة موقفاً سلبياً، وعلى العموم العاطفة دوماً سلبية إن لم تتحول إلى إحساس، فهي شيء والإحساس شيء آخر، فمكان العاطفة هو منطقة الغريزة، أما الإحساس فمكان وجوده على الأقل منطقة اللب إن لم نقل إن اللب هو منبع الإحساس.

وكذلك منطقة اللاوعي هي عامل تحريضي بينما الذاكرة تقف على الحياد تقريباً، حيث تتناول الغريزة الصور المحرضة من

اللاوعي. أما اللب والعقل فيعملان على كبح فعل هذا العمل الغريزي من الجموح، وهنا تستمد منطقتا العقل واللب أو إحداهما صورهما من الذاكرة لتعزز حلولها وتفرضها على القائد الذي هو الغريزة لتمنعه من التدهور والتهور، وإن لم يستجب فسيُدخِل الوحدة الواحدة بأعباء ما أنزل الله بها من سلطان.

لا شك أن للغريزة أعمالاً يجب أن تكون فيها هي القائد، ولكن هذه الأعمال يجب أن تساهم في تقدم محور حركة التطور الإنساني.

- **التفكير بالعقل:** (العقل هو القائد)

يقود العقل العمل الفكري إلى تحديد كل شيء بقيمة ما وكمية ما ويطرحها على أنها ثابت ومتحول في آن معاً، ويسعى لحل كل المسائل بالشكل المادي البحت، لذلك نجده عندما يقود الوحدة الواحدة لحل المسائل المادية فإنه يبدع، وسوف يضع لها الحل الأمثل معتمداً على المدخلات التي مدته بها مناطق الوحدة الثانوية، كما تدعمه منطقة اللب ببث صور ناتجة عن الخيال، لأن منطقة الخيال موجودة ضمن منطقة اللب، لذلك يفتح الخيال أمام العقل حلولاً أرقى وخاصة إذا وجدت قناة التفاعل، وعليه فإنّ الإبداع في الموجة الثانية هو إبداع غير مرئي، بينما الإبداع في الموجة الأولى هو إبداع مرئي. نقصد بالإبداع غير المرئي الإبداع الناتج عن الخيال العلمي، والناتج عن منطقة الخيال

الواقعة ضمن منطقة اللب وعن قناة التفاعل، وهاتان المنطقتان تكونتا نتيجة التعليم والتدريب، والإيمان بعلوم المنطق والفلسفة والفنون الراقية والعلوم المادية والإنسانية.

تعمل الغريزة على فرض رغبتها في أن يكون الحل لصالحها، فهي تحاول أن تفرض شروطها كي توجه العقل القائد إلى المكان الذي تريده. فنجد أن العقل يقود العمل الفكري بأريحية عندما تكون المسألة مسألة مادية بحتة كحل مسألة علمية على سبيل المثال، فنرى الغريزة لا تتدخل بل تقف على الحياد.

يفشل العقل بالقيادة عندما يعمل في حل المسائل الميتافيزيقية، لأن العقل سوف يحول اللامادة إلى مادة، وهذا سيؤدي إلى خطأ في التصور الناتج عن هذه العملية فيظهر المنتج على أنه ميثولوجيا (أساطير).

- **التفكير في اللب:** (اللب هو القائد)

يتميّز اللب عن باقي مناطق الوحدة الواحدة لأنه يتصل بالقلب عن طريق قناة تواصل، هذه القناة تنقل كل ما في اللب إلى القلب وبالعكس، لذلك يتمتع اللب بمواصفات خاصة يفرضها القلب على اللب وبالعكس.

وإذا كان العقل يعتمد على كمية المعلومات والقدرات المكتسبة في حسمه لعملية القيادة في المسائل المادية، والغريزة تعتمد على قدرة الإنسان في السيطرة على المحيط ومدى قوته

ونفوذه، فاللب يعتمد على البصيرة والحدس والإلهام ليقود العملية بسلام وبالتالي يحقق حالة إبداعية.. لكن اللب تفشل قيادته في المسائل المادية حتى ولو كان في أحسن حالاته، بل على العكس كلما كانت حالته أفضل كان فشله بالمسائل المادية أوضح، وذلك بسبب وسع الهوة بين المادية واللامادية، لذلك نجد اللب يبدع في المسائل الفنية لأن فيه خزان الخيال. وعليه يتدخل العقل ليقدم المساعدة للّب القائد كي يحقق له التوازن بين الواقع والخيال، في حين تبقى الغريزة بالدافع نفسه ترغب أن تسخر كل شيء لصالحها مستخدمة النفوذ والقوة، فالأعمال الفنية يجب أن يقودها اللب ليكون فناً مدهشاً، وإلا خرج عملاً وظيفياً لا إبداع فيه.

- **التفكير باللاوعي:** (اللاوعي هو القائد)

وهو أخطر منطقة في الوحدة الواحدة، فهو الخزان الأوّلي لكل ما يدخل إلى الوحدة الواحدة قبل أن يمر، ويعالج ضمن مناطق الوحدة الأساس ثم تنتقل المخرجات إلى الذاكرة.

يقود اللاوعي العملية الفكرية إلى السطحية لأنه يتعامل مع المعلومات بشكلها الخام دون أن تمر على الوحدة الأساس، فالخطورة تتم عندما يتسلم اللاوعي القيادة، هذا يعني أن الوحدة الأساس، وبالأخص العقل واللب، قد دخلتا في حالة سُبات ونوم عميقين، فكأن تلك الوحدة ميتة، فيصبح اللاوعي قائداً بالوكالة عن الوحدة الأساس، ومنتجاً للأعمال التي تنجزها هذه الوحدة الواحدة

التي سوف تسير بعكس حركة التطور الإنساني. فاللاوعي يحل محل الوحدة الأساس، ويتبادل المعلومات فقط مع الغريزة، لأن الغريزة هي المنطقة الوحيدة التي تشارك في كل العمليات الفكرية المركبة تقريباً.

- الذاكرة:

هي الخزان العام للوحدة الواحدة بعدما تتم معالجة المعلومات والصور، ضمن مناطق الوحدة الأساس لتصبح فيما بعد منهلاً لكثير من العمليات الفكرية، سواء أكانت تلك العمليات الفكرية سطحية أم عميقة، فهي التي تعود وتزود مناطق الوحدة الواحدة عدا اللاوعي الذي يستمد معلوماته وصوره من ذاته.

- الحواس:

هي أحد مكونات الوحدة الثانوية المؤلفة من (اللاوعي - الذاكرة - الحواس)، وعمل الحواس هو صلة الوصل بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، فهو يتلمس مكونات العالم الخارجي ويرسلها إلى مكونات الوحدة الأساس والعكس بالعكس، وهذه الحواس في تكوينها الأولي هي خمس (اللمس - الشم - التذوق - السمع - النظر) وبقيت خمساً إلى أن بدأت بالزيادة عند دخولها الموجة الثانية.. نبحث هنا بالعموم لا بالخصوص عن المجتمع عامة أو عن أمم لا عن أفراد، وهذه الأمم قد تكون عاشت أو بالتأكيد عاشت في الموجة صفر أو الموجة الأولى وكانت تملك حواس كثيرة.

واستطاعت بفضل بناء ثقافاتها المناسبة والمنسجمة مع الموجة الثانية، فعلى سبيل المثال: الأمم الأوروبية بعد عصر النهضة الذي كان السبب الرئيسي في دخول الأمم الأوروبية الموجة الثانية، هي غير الأمم الأوروبية قبل عصر النهضة.

إنّ نمو حواس جديدة عند دخول الموجة الثانية ناتج عن تنظيم وترتيب عمل الوحدة الأساس فيما بينها، وخلق قناة تفاعل بين اللب والعقل مخترقة منطقة الغريزة، مما أدى إلى إخماد هيجان المحرك العام فظهر بذلك حواس جديدة قادرة على أداء أعمال جديدة، وتتحسس مواطن جديدة من مواطن العالم الداخلي والعالم الخارجي، ومن ثمَّ الانتقال إلى حالة بشرية أرقى من الحالة البشرية التي عاشتها في الموجة السابقة، هذه الحالة البشرية تملك مواصفات وثقافات قادرة على مر الزمن أن ترتقي أكثر وأكثر، فاستطاعت برقيها وعلمها وعملها توسيع قناة التفاعل الواصلة بين اللب والعقل، مما أدى إلى زيادة الحواس كحاسة الاستشعار على سبيل المثال، ودخول هذا المجتمع في الموجة الثالثة بسبب اكتسابه التوسع في قناة التفاعل، وازدياد عدد الحواس المتصلة بالعالم الخارجي.

لقد لعب العلم وكذلك الفلسفة والمنطق والفنون الراقية التي رسمت المستقبل دوراً مهماً في هذا الانتقال، والذي يُعدّ القاعدة الأولى لأية أمة تريد أن تحقق مثل ذلك الانتقال.

إذن الوعي المكتسب عن طريق التعليم والتدريب أعطى حواسَّ جديدة وهذه الحواس الجديدة تملك إحساساً وشعوراً يختلف عن الحواس الخمس المعروفة، لذلك دوماً أقول إن الإحساس هو أعلى درجة من درجات الوعي، وهو يحقق للإنسان حالة إنسانية منطقية أقرب ما يمكن إلى الكمال، فيصير المجتمع مجتمعاً ناضجاً غير قابل للاختراق. إن مخرجات العالم الداخلي دليل على زيادة عدد الحواس، فيتمتع العباقرة والمبدعون بعدد حواس أعلى من أي شخص آخر. قد نجد إنساناً عادياً يملك حاسة متميزة تميزه عن الآخرين، إن هذه الحاسة اكتسبها عن طريق التعليم والتدريب.

- قنوات التواصل:

هي القنوات التي تصل الوحدة الأساس مع الوحدة الثانوية ليتم من خلالها نقل وتبادل المعلومات بينهما، أما الحواس فهي الوحيدة التي تتصل مع كل مناطق الوحدة الواحدة لأنها أدوات التنفيذ للتواصل المباشر مع الخارج ناهيك عن أعمال أخرى، كما لا يوجد تواصل بين اللاوعي والذاكرة لأن اللاوعي هو نفسه خزانه الخاص به، وكلما كانت قناة التواصل أوسع (قطر أكبر) كانت كمية نقل المعلومات وتبادلها أغزر وأسرع، لذلك نجد أن قناة التواصل بين الغريزة واللاوعي، وبين الغريزة

والذاكرة في المرحلة الأولى من تطور الوحدة الواحدة هي أعرض من باقي الأقنية. إن تبادل المعلومات التي تتم عن طريق أقنية التواصل هي بيانات عامة تخص كل منطقة من مناطق الوحدة الأساس، لذلك تأتي النتائج على الأغلب بشكل ناقص غير تام، أو بشكل خطأ إن لم يتم تبادل المعلومات ومشاركة الوحدة الأساس عن طريق قناة التفاعل.

- قناة التفاعل:

هي القناة التي تصل بين مكونات الوحدة الأساس وتعمل على فرز البيانات الواصلة من مكونات الوحدة الثانوية الخاصة لكل منطقة من مناطق الوحدة الأساس، أي تقوم هذه القناة على ترتيب وتنظيم البيانات للحصول على منتج أقرب ما يكون إلى المنطق، ومن ثمَّ يحقق عملية إبداعية تساعد على حل أغلب المسائل والسبب في ذلك أن فرز البيانات ستجعل كل منطقة من مناطق الوحدة الأساس تعمل بالاختصاص الخاص بها، وعليه يكون المنتج الناتج أقرب ما يكون إلى المنطق.

- القاطع:

هو الأداة التي يقوم الباطن باستخدامها لقطع التواصل بين مكونات الوحدة الأساس، وتبريره لاستخدام هذا القاطع ناتج إما عن قناعة أو عن أيديولوجيا أو عن حالة نفسية فتصبح مخرجات هذا الباطن مؤدلجة.

- التعطيل القسري:

هو امتلاك الباطن جميع مقومات الوحدة الواحدة على أكمل وجه وأحسنه، لكن الباطن يرغب في استخدام مكون أو مكونين على الأكثر من الوحدة الأساس، فيقوم بتعطيل المكونات الباقية عن عمل هذه المنطقة أو تلك أو كلتيهما بقاطع يقوم بقطع عملية التبادل في التعامل مع المناطق الأخرى.

بإمكان الباطن أن يعطل قسراً منطقة اللب فتعمل الوحدة الأساس من خلال منطقتي الغريزة والعقل، فيصبح هذا الشخص شخصاً مادياً لا يتمتع بالروحانيات، أو أن يوجّه الباطن لعمل الوحدة الأساس بمنطقة اللب فقط، ومن ثمَّ يصبح الشخص روحانياً بعيداً عن الماديات، أما إذا قام الباطن بقطع تبادل التفاعل بين العقل من جهة واللب والغريزة من جهة أخرى فسوف يعمل هذا الشخص إما على استخدام العقل فيكون مادياً إيجابياً، أو يأمر هذا الباطن بعمل الوحدة الواحدة بمنطقتي اللب والغريزة فيكون هذا الشخص متعصباً ومتزمتاً، وبكلتا الحالتين لا يكون هذا الشخص متوازناً. أما إذا قام الباطن وقطع القاطعين الواصلين بين اللب والغريزة والعقل.. عندها إما أن يأمر الغريزة لتقود الوحدة الأساس فيكون الشخص حيوانياً، وإما أن يأمر منطقة اللب بقيادة الوحدة الأساس فيكون الشخص روحانياً، وإما أن يأمر العقل بقيادة الوحدة الأساس فيصير الشخص مادياً إيجابياً. وبكل الحالات يكون هذا الباطن غير متوازن مهما قدّم خدمات للبشرية.

- العلاقة بين الموجات والوحدة الواحدة:

إنّ العلاقة بين الوحدة الواحدة وبين الموجات هي علاقة جدلية ديالكتيكية تؤثر كل واحدة بالأخرى لتصل كل منهما إلى الهدف المنشود ألا وهو الارتقاء بالجنس البشري. في البداية كان هناك (طبيعة خام وإنسان خام) وهذان العالمان - أي الطبيعة والإنسان- واللذان سميناهما العالم الخارجي والعالم الداخلي هما متشابهان من حيث التكوين ومراحل التكوين، لذلك سوف يتشابهان من حيث التطوير الذي تعبّر عنه تلك الموجات، فيكون لكل مرحلة من مراحل الموجات حقبة زمنية ما تستهلكها كل أمة لتحقيق التطور المنسجم والمتطابق مع حركة التطور الإنساني، الذي يؤدي إلى تطور الوحدة الواحدة ديالكتيكياً والمدة الزمنية لهذه الحقبة الزمنية تحددها عوامل وظروف موضوعية خاصة بكل أمة، وعوامل وظروف خارجية تفرضها الأمم المحيطة، وهذه العملية هي سنة من السنن الكونية، فإذا لم تتطور أية أمة وتدخل الموجة التي تليها فإن هذه الأمة سوف تنقرض أو ستصبح أمة تابعة في أحسن الظروف، وتاريخياً أغلب الأمم، إن لم نقل الكل، دخلت الموجة المستحقة أثناء الحروب وضغوط الأمم التي سبقتها في دخول هذه الموجة الجديدة، لذلك أغلب الأحيان هناك حضارة مركزية لكل موجة، والحضارات الأخرى ما هي إلا محيط هذا المركز.

كانت الطبيعة بكراً وليس فيها إلا المواد (الخام)، وكان الإنسان أيضاً على الفطرة لا يملك من النضج في الوحدة الأساس إلا منطقة الغريزة، التي تدفعه لتحقيق رغباته من خلال محاولته تسخير قوى الطبيعة لصالحه، وتسخير واستغلال باقي البشر لصالحه أيضاً، وهذه من أهم عوامل استمرار الصيرورة والكينونة لتطوير الحياة وتطوير ذلك الجنس البشري. لذلك نجد في الموجة صفر أن المحرك الأساسي الذي يقود الوحدة الواحدة هو منطقة الغريزة، وما دامت منطقة العقل تتعامل مع الأشياء المادية ومنطقة اللب تتعامل مع الأشياء الميتافيزيقية (اللامادية)، فإن منطقة الغريزة كانت تلجأ وتتبادل المعلومات مع منطقة اللب أكثر من تعاملها مع منطقة العقل، لأنها لم تكن تعي وتستوعب تلك الماديات التي من حولها بسبب جهلها لها من جهة، ومن جهة أخرى اندهاشه وخوفه من هذه الهالة العظيمة لقوى الطبيعة التي كانت تسيطر على الإنسان القديم، لذلك كان يلجأ إلى منطقة اللب محاولاً الوصول إلى الاستقرار النفسي لأن منطقة اللب تتعلق بالروحانيات، فنمت بذلك منطقة اللب أكثر بكثير من نمو منطقة العقل لاستعماله منطقة اللب أكثر من استخدامه منطقة العقل وذلك حسب الفكرة القائلة إن العضو الذي لا يعمل لا ينمو بل يضمر وهي فكرة صحيحة، ولكن السبب الرئيسي لتوجهه والتعامل مع منطقة اللب عائد لتحقيق أهم رغبة وأوّل رغبة يطمح إليها كل إنسان ألا وهو الشعور بالأمان، والابتعاد عن

مواطن الخوف لذلك قال تعالى في كتابه العزيز ﴿**لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع....**﴾ فقد ذكر الله أن أوّل رغبة لدى الإنسان هي الأمان وحل مسألة الخوف أهم من حله مسألة الجوع، لأن مسألة الخوف ستأخذ منه ساعات وساعات من التفكير بينما حل مسألة الجوع أخف وطأة وأقل زمناً بكثير، فكبرت منطقة اللب ونمت معها فكرة الآلهة التي كانت تحقق له حل مسألة الخوف، كما أن مسألة الخوف هي عملية ينتج عنها عدم استقرار القلب قبل أي شيء آخر ، أي أن الخوف يتعلق بالأشياء اللامادية وهو لامادي، لذلك لجأ هذا الإنسان أو بالأحرى لجأت منطقة الغريزة إلى التعامل مع منطقة اللب لأن اللب يتعلق مباشرة بالقلب، إلا أن الكهنة (رجال اللاهوت والناسوت) استخدموا هذا السلاح من أجل تحقيق مطامحهم، وبسط سيطرتهم، فانتقلت عملية الخوف من مسألة الخوف من قوى الطبيعة التي بدأ يضع لها حلولاً، إلى عملية الخوف من الأفكار التي كان رجال اللاهوت يخترعونها من أجل السيطرة وبسط نفوذهم، وهنا يتضح لنا مسألة هامة هي أن السيطرة عن طريق الفكر أو الأفكار هي أقوى وأمضى بكثير من السيطرة عن طريق القوة، لأنها تجني ثماراً أكثر دون عناء، وتستمر فترة زمنية أطول، أي أن الفكر هو الذي حل محل القوة، وأصبح هو بذاته قوة فاعلة ويعتبر أقوى قوة.

باعتبار أن كل حالة هي نتيجة لما قبلها، ومقدمة لما بعدها وكأنها تدحرج لكرة الثلج، فسوف تؤدي إلى عملية التطوير في الموجة صفر حتى تصل إلى الموجة الأولى (الموجة الزراعية) التي تمت في الألف العاشر قبل الميلاد، والسبب الأساس في دخول هذه الموجة هو نمو منطقة العقل في الوحدة الأساس، وحاجة الوحدة الواحدة إلى هذا التغيير لأنه سئم من الموجة صفر، وأصبح يملك مقومات الموجة الأولى، لهذا تمت عملية الانتقال بشكلها الحتمي واستطاعت الأمم والمجتمعات السباقة أن تكون هي المركز، أي مركز الحضارة وباقي الأمم هي المحيطة بحضارة هذه الأمم والمجتمعات المركزية، وكانت آنذاك موجودة في القسم الشرقي من العالم، فالشرق هو مركز الحضارة في الموجة الأولى.

وما دامت منطقة العقل فتية، بدأ العقل يحل المسائل اللامادية، وبما أن العقل يتعامل مع الأشياء المادية ليقدّم للبشرية منتجاً ما، فقد توصل بذلك وأنتج فناً تختلط فيها المادة باللامادة فظهرت بذلك الأسطورة (الميثولوجيا)، ويعدُّ فن الأسطورة (الميثولوجيا) من أخطر وأعظم الفنون وأجملها، وقد أنتج هذا الفن خلال الموجة الأولى، واستمر إلى الآن ضمن مجتمعات الموجة الأولى، وبعض هذه المجتمعات لا تزال تعيش تلك الموجة حتى الآن، ومنها الأمة العربية وأغلب الأمم الشرقية والأفريقية، والسبب في ذلك لأنها تحقق للقارئ الروحانية

والمادية في الوقت نفسه وتلصقه بموجته التي يعيشها، فالأسطورة هي دمج المادية باللامادية.

إنّ كل الديانات حوّلت من قبل رجال اللاهوت إلى أساطير، والديانة من هؤلاء الكهنة براء.

كما الإنسان يمر بمراحل تطوّر وتحوّل كذلك الطبيعة تمر بمراحل تطوّر وتحوّل، وكذلك الموجة والأمم تمر بمراحل تطوّر وتحوّل لتصل في نهاية المطاف إلى انتهاء تلك المرحلة ودخولها في مرحلة جديدة، وهذه المرحلة الجديدة قد لا تمت بصلة إلى المرحلة والموجة السابقة بأية صلة إلا أنها مكملة ومتممة لها للوصول إلى الهدف المنشود والمرسوم، ونقصد بالتطوّر الانتقال الكمي، بينما التحوّل هو الانتقال النوعي. نضرب مثلاً يوضح ذلك ثم قم أنت عزيزي القارئ بتعميمه.. يكون الإنسان حديث الولادة طفلاً ثم يكبر فنجد أن هذا الطفل الذي أصبح مراهقاً ثم شاباً يقوم بأعمال تختلف عن الأعمال التي كان يقوم بها عندما كان طفلاً، وعندما يصبح كهلاً سيقوم بأعمال تختلف عن الأعمال التي كان يقوم بها عندما كان مراهقاً أو شاباً، وهكذا فلكل شيء نموه الطبيعي فإذا نما بشكل سريع صار هذا المولود مشوهاً، وإذا تأخّر في عملية النمو فسيصبح هذا النمو قزماً، ولا نقصد التشويه أو القزم من الناحية الجسمانية أو البيولوجية بل من ناحية الوحدة الواحدة، إن انتقال هذا المولود من مرحلة إلى مرحلة تتم عندما

تشيخ المرحلة السابقة وتهرم، وتصل إلى طريق مسدودة فتموت بذلك المرحلة السابقة لتبدأ ولادة حياة جديدة.

إنّ هذه المجتمعات تبحث عن مخرج لها كي تدخل الموجة التي تليها لكن متى تصل الموجة الزراعية إلى مرحلة الشيخوخة والخرف؟ عندما تصل الوحدة الواحدة إلى عملية الحركة الساكنة، أي تسكن فيها منطقتا اللب والعقل محاولة البحث عن حياة جديدة نتيجة الملل من هذا السكون، ومن شيخوخة تلك الموجة. قد يقول قائل إن الباطن هو الذي وصل إلى حركة السكون، فنجيب: إن الباطن عندما يصل إلى مرحلة السكون يأمر الوحدة الواحدة بفعل عمل ما لكن دون نتيجة، والسبب هو شيخوخة المرحلة، وانتظار التحول قبل الدخول في الموت السريري لهذه الأمة أو تلك.

إنّ هذه الشيخوخة أو لمن يتحسسها هم العباقرة والمبدعون والفلاسفة وهم عظماء أية أمة عاشت وستعيش، ويعانون أيضاً من عدم الاستجابة لأفكارهم من قبل شعوبهم ومجتمعاتهم وحتى دولهم وهي الأهم والمعضلة الكبرى، وعدم الاستجابة ناتج عن أن تلك الشعوب مستمرئة للراحة لأن الناس دوماً مولعون باللعب واللهو وجمع المال وممارسة الجنس، وغير مولعين بالفكر وخاصة في الموجة الزراعية، لأن الفكر والفن في هذه المجتمعات تعملان على تكريس الموجة الزراعية، وعليه لا نجد عند تلك الشعوب تطلعاً مستقبلياً، لأنها صنعت وصيغت لهذه

الموجة، فكان الناس مصبوغين بتلك الأفكار الخاصة بهذه الموجة. لذلك يعاني هؤلاء العظماء من محيطهم وكأن مرحلتهم لم تأتِ بعد. إلا إذا أتى قائد سياسي وتبنّى أفكارهم وقام بنشرها كما تمت عملية نشر الديانات، أي يجب أن يصبح العلم جزءاً من الديانة أو كل الديانة لأن الديانة لم تعد تملك الحقيقة المطلقة، وإن لم يأتِ هذا القائد فهناك طريق آخر هو الحروب التي تهدد تلك المجتمعات بالانقراض لذلك تستشعر عندها الدولة حاجتها لمثل هؤلاء العظماء ليقدموا فكرهم وأفكارهم، وهذا ما تم عند الغرب وكانوا السباقين في دخول هذه الموجة الثانية، ومن ثمَّ انتقل مركز الحضارة من الشرق إلى الغرب، وأصبح الشرق هو المحيط لتلك الحضارة في الموجة الثالثة.

لقد بدأت الموجة الثانية (الموجة الصناعية) عند ما بدأ الموت السريري للموجة الأولى، وبدأت المجتمعات الديناميكية بدخول عالم جديد لم يدخلوه من قبل، ولكن المجتمعات المتخلّفة غير الديناميكية أو اللاديناميكية الخاملة الجامدة – حيث إننا عرفنا التخلّف بعدم امتلاك الديناميكية اللازمة لعملية التحول – لا تعي أهمية هذا التحوّل لذلك يحاربون كل شيء جديد، وكل عملية تحوّل هي بمثابة مجهول لهم، معتقدين أن هذا الجديد سوف يقتلع عاداتهم وتقاليدهم أي سوف ينزع عنهم تكوينهم النفسي والذهني، مع العلم أنه لا يمكن أن يتم التحوّل والدخول في الموجة الجديدة ما لم يتم تغيير العادات والتقاليد، وتحويل تكوينيهما الذهني

والنفسي، وحتى هذا التغيير والتحوّل في العادات والتقاليد يخضع للعملية الجدلية الديالكتيكية. تبقى هذه المجتمعات المتأخرة تقاوم هذا التحول إلى أن يحس أفرادها بالخطر فيستسلمون لهذا التحول، ولا يستسلمون إلا إذا أحسوا أن استسلامهم هذا سوف يبقيهم على قيد الحياة.. لذلك يدخلون تلك الموجة عنوة، ولكن عندما يدخلونها سوف تظهر مواهبهم وإمكاناتهم وطاقاتهم وملكاتهم الكامنة التي يحملونها دون أن يشعروا خالقين بذلك قناة تفاعل بين المكونات الأساسية للوحدة الأساس، وبذلك تبدأ عمليات الإبداع وتتدحرج كرة الثلج من جديد، وتصبح عمليات التطور أكبر، وتعمل بالدفع الذاتي إلى أن تتعاظم وتتعاظم، ولكن يترتب على دخول هذه الموجة الجديدة وبشكل جدلي وديالكتيكي أبعاد أو نظم عدة أهمها النظم الاقتصادية، تليها النظم الاجتماعية والأخلاقية فتفرز نظماً سياسية جديدة تتناسب وتلك الموجة الجديدة. وأهم ما تتطلبه هذه المرحلة خلق فنون تتناسب وتلك الموجة الجديدة فترسم ملامحها كي تصوغ أفكار أفراد المجتمع من أجل التسريع في عملية دفع الكرة إلى الأمام وتعميمها على سائر أفراده.

أمّا الموجة الثالثة (موجة المعلوماتية) فما هي إلا نتيجة تطور في الموجة الثانية، وانتخاب الأصلح الذي يصل إلى حد التخصيص، فنتج عن ذلك العلوم البحتة على حساب الفنون والفلسفة والمنطق، حتى الفنون تصبح خادمة لتلك العلوم البحتة،

وقد عددنا الموجة الثالثة تطوراً للموجة الثانية لأن أدواتها تعتمد على أساسيات الموجة الثانية وهي الثورة الصناعية. والموجة الأولى ما هي إلا نتاج لتطور الموجة صفر، بينما الموجة الثانية ناتجة عن عملية تحوّل (تغيير).

وأغلب الظن أنه لا وجود لموجة رابعة على سطح الكرة الأرضية، وإن حدثت وظهرت فستكون إما ناتجة عن اكتشاف مادة خام تقدم حلولاً مختلفة عن حلول الموجة الثالثة وذلك لأن جدول ماندلييف لم يكتمل بعد على أغلب الظن لأن سلّم العناصر الموجودة في الطبيعة غير مكتمل، لذلك باكتشاف أي عنصر مادي جديد قد يدخل العالم إلى موجة جديدة تكون هي الموجة الرابعة، أو دخول الموجة الرابعة باكتشاف كوكب أو كواكب أخرى غير كوكب الأرض لخلق حياة صالحة على سطح أحد الكواكب والعيش فيه وهذا أغلب الظن، لأن المؤكد أن الموجة الرابعة مفترض وحتمي أن تكون خاضعة لعملية التحوّل لا إلى العملية التطويرية.

- خلاصة:

لقد مرّ العالم في عدة موجات وكل موجة تتطلب شكلاً من أشكال الوحدة الواحدة.. أو بالأحرى إن تطور الوحدة الواحدة أدى إلى التغيير والانتقال من موجة إلى موجة أخرى.. أي أن كل نوع من الموجات يتطلب نوعاً جديداً من الوحدة الواحدة،

وثقافة جديدة تتناسب مع الموجة الجديدة فالتأثير متبادل بين الوحدة الواحدة وبين الموجة..

لقد سمينا أوّل موجة باسم (الموجة قبل الأولى) أو (الموجة صفر) وهي الحياة المشاعية المتنقلة التي لا تملك ملامح واضحة ولكنها هيأت لحياة مستقرة.. أما الموجة الأولى والتي بدأت من القرن العاشر قبل الميلاد، واستمرت بشكل وسطي إلى القرن السابع عشر ميلادي تقريباً وهي (الموجة الزراعية) أي استمرت حوالي سبعة وعشرين قرناً تقريباً.. أما الموجة الثانية فقد استمرت من القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن العشرين وهي (الموجة الصناعية) واستمرت حوالي ثلاثة قرون تقريباً، ثم أتت الموجة الثالثة وهي (موجة المعلوماتية) وبدأت منذ منتصف القرن العشرين، ولا ندري إلى متى ستستمر هذه الموجة أم أنها آخر موجة - لا أحد يدري بذلك - إلا أن هناك بعض الدول العظمى تفكر بما بعد الحداثة، حيث سمي عصر الصناعة بالحداثة وسمي عصر المعلوماتية بعصر ما بعد الحداثة، أي تحاول أن تبحث وتجد تحولاً ما يدخلها الموجة الرابعة مع العلم أنها لا تدري ما هي مقومات تلك الموجة التي تبحث عنها، لكنها تقوم بعملية البحث كي تحافظ على بقاء واستمرارية جنسها البشري.. ونحن العرب لا نزال نتصارع على تفاصيل تافهة لا قيمة لها مثل الصراعات المناطقية والطائفية والدينية والمذهبية وكل شيء لا جدوى منه نتصارع

به، لأننا لا نملك ثقافة الموجة الثانية ولم ندخلها بعد، ودوماً يعمل عدونا جاهداً بإشغالنا كي لا يتسنى لنا دخول موجة جديدة.. لذلك ندور في دوامة تلك الصراعات، لأن الوحدة الواحدة في حالة فراغ والحياة لا تقبل الفراغ.

لاشك أن لكل موجة ثقافتها الخاصة وهذه الثقافة هي التي تدعم هذه الموجة أو تلك وتثبت أقدامها، فعلى سبيل المثال لا نستطيع أن ندخل الموجة الثانية أو الموجة الثالثة بثقافة الموجة الأولى، وكأننا سنبني هذا الصرح العظيم على رمال متحركة، فالموجة الأولى (الموجة الزراعية) كانت ثقافتها ثقافة دينية لأن منطقة اللب كانت ناضجة أكثر من منطقة العقل، حيث كان العقل فتياً لذلك كانت منطقة اللب هي التي تقود الوحدة الواحدة هذا من جهة، ومن جهة ثانية لعب دور رجال اللاهوت والناسوت الذين شوّهوا مهام منطقة العقل وأدخلوها بتحليل أمور وأشياء غير مادية (ميتافيزيقيا) ليتم معالجتها في منطقة تتعامل مع الأشياء والأمور المادية فأنتجت أفكاراً وأساطير، واستطاعت هذه الأفكار أن تسيطر على الأمم كلها تقريباً، فضلاً عن أن فكرة الآلهة لم تحسم بعد حيث كان هناك صراع مرير بين فكرة الآلهة وفكرة الإله الواحد.. ونلاحظ أن القرون (السادس والخامس والرابع) قبل الميلاد شهدت في أثينا واليونان عموماً نهضة فكرية فكانت أثينا تعجُّ بالعظماء العباقرة والفلاسفة والمفكرين، لأنها تحررت من عقلية رجال اللاهوت والناسوت التي دفع سقراط حياته من

أجل الدفاع عن أفكاره، ومات شهيداً لحرية الفكر والتعبير.. ثم جاءت الديانة المسيحية وأدخل رجال اللاهوت والناسوت أوروبا في ظلام دامس، وذلك عندما اشتدت سيطرة الكنيسة على الدولة أي اشتدت سيطرة رجال اللاهوت على الدولة، وكان القرن الخامس الميلادي هو قرن سيطرة رجال اللاهوت على أوروبا، فلم نشهد منذ القرن السادس وحتى بداية عصر النهضة، أسماء عظماء من فلاسفة ومفكرين وعباقرة.... إلخ في أوروبا. لا نتكلم هنا عن الديانة المسيحية بأنها صحيحة أم غير صحيحة أو أي كلام آخر، بل على العكس فالديانة المسيحية هي ديانة سماوية صحيحة ونعترف بها، لكن رجال اللاهوت، باسم هذه الديانة، استطاعوا أن يبسطوا سيطرتهم لتحقيق مآربهم، وهذا الكلام ينطبق على رجال اللاهوت في الديانات السماوية الأخرى.. ومن ناحية أخرى عندما نما العقل في الموجة الأولى واستطاع أن يقدم إبداعاً مرئياً لم يكن بينه وبين اللب تنسيق يستطيعان من خلاله فرز المعلومات لإيجاد حلول منطقية، لأن كل عملية تطويرية تحتاج مرحلة زمنية (مدة) وشروطاً موضوعية لتصل إلى مرحلة النضج ومن ثم التحول.

أمّا الموجة الثانية (موجة الصناعة) فتتمتع وتتميز ثقافتها بثقافة الفلسفة والمنطق والفنون وبعض العلوم.. أي أن منطقة العقل هي التي استلمت زمام القيادة والمبادرة في الوحدة الواحدة في المسائل المادية، وبدأت بالترتيب وفصل الأشياء والأمور

المادية عن الأشياء والأمور الميتافيزيقية عن طريق قناة التفاعل، فاستطاعت أن تتخلص من حكم رجال اللاهوت، وبدأ العقل يظهر مواهبه وإمكاناته فأدى به إلى تشييد عصر الصناعة والثورة الصناعية.

كان الفن أهم ما في تلك المرحلة، وقد عمل على صياغة ثقافة الناس ورسمها، وبدأ الناس يستمدون أفكارهم من هذه الفنون التي كانت ترسم واقعاً جديداً، ولم تكن رد فعل يرسخ الواقع الذي نحن فيه كما الفنون العربية، فعلى الفن أن يصوغ أفكار البشر، ويصنع حضارتهم ولا يقع في عملية تقليد الواقع، هذا التقليد الذي مللنا منه. إن قيادة العقل لتلك الوحدة الواحدة أدى إلى إنتاج كل هذه المنتجات المادية التي تعمل على خدمة البشرية وتأمين حاجاتها، أضف إلى ذلك أن هذه الدول والأمم التي انتقلت إلى الموجة الثانية لم تتخلَّ عن ديانتها بل على العكس أدخلت الكثير من الأمم فيها. لذلك علينا أن نخوض عملية التصنيع بأنفسنا، وننشر ثقافة تلك الموجة بوساطة مفكرينا وأفكارنا، ولا نستورد الأفكار الجاهزة.. يجب الاعتماد على قدراتنا الذاتية مستلهمين وكاشفين الطريق الصحيح على يد مفكري وعباقرة أمتنا وعظمائها وفلاسفتها.. وللعلم تملك أمتنا تلك العقول.

أمّا الموجة الثالثة (موجة المعلوماتية) فثقافتها هي العلوم البحتة التي لا تقبل الشعوذات والسحر، وتتم من خلال الاستخدام

الأمثل للوحدة الواحدة وذلك بالتفاعل الخلّاق بين منطقتي اللب والعقل عن طريق قناة التفاعل التي تخترق الغريزة.

إنّ الشكل التالي يوضّح مراحل تطور تلك الوحدة الواحدة المنسجمة والمتطابقة مع محور حركة التطور الإنساني ومحور حركة التاريخ، أي أن محور الوحدة الواحدة، ومحور حركة التطور الإنساني، ومحور حركة التاريخ، هي ثلاثة محاور منطبقة فوق بعضها بعضاً، ومن ثمَّ فذكر اسم أي محور من المحاور هو ذكر للمحورين الباقيين.

نلاحظ أن في الوحدة الأساس ثلاثة مكونات هي (اللب – العقل – الغريزة) وهذه المكونات الثلاث تتصارع فيما بينها لاستلام زمام المبادرة والقيادة، والذي يحرك تلك المناطق الثلاث في الوحدة الأساس وحتى في الوحدة الثانوية، هو الباطن الذي هو أنت أيها الإنسان في جوهرك الحقيقي لا في شكلك الظاهري والخارجي الذي كما تبدو عليه، بل ما تنطوي أنت عليه.. فإذا كان هناك صراع بين المكونات الثلاث للوحدة الأساس فإن هذا الباطن تسيره منطقة اللاوعي والوحدة الثانوية بشكل عام والتي هي (اللاوعي – الذاكرة – الحواس) وبهذه الحالة تكون الحواس النامية في هذه الوحدة الواحدة، هي الحواس الخمسة فقط.. وفي هذه الحالة تكون أقنية التواصل بين اللاوعي ومنطقتي اللب والعقل معطلتين لا تواصل بينهما ولا تأثير يذكر للتواصل بين

الذاكرة ومنطقتي اللب والعقل لذلك تصبح الغريزة هي القائد لتلك الوحدة الواحدة.. وفي هذه الحالة يدخل صاحب هذه الوحدة الواحدة في صراعات وأمراض نفسية، ومن أجل معالجة هذه الوحدة الواحدة نخضعها للعلاج النفسي لتصحيح مسارها وتصليح أقنية الاتصال المعطوبة أو المتوقفة.

ألم يأتِ علم النفس ليصحح أمراضاً اجتماعية عند الناس، فالإنسان يكتسب أمراضاً اجتماعية نفسية وعلاجها يتم عن طريق جدول معالجة أقرب منه إلى جدول رياضي يساعد على التخلص من هذا المرض النفسي أو ذاك، أي يشفى عن طريق التعليم والتدريب، فالأمراض الاجتماعية يمكن التخلص منها عن طريق التعليم والتدريب من أجل العلاج الجماعي الخاص بكل مرض.. وبما أن الوقاية خير من ألف علاج، علينا أن نجنب أجيالنا القادمة منها عن طريق تجهيز أطفالنا في المدارس لأزمان وعصور سوف يعيشونها لا لأزمان وعصور عاشها أجدادنا.

إنّ الأمراض النفسية تظهر نتيجة سيطرة الغريزة على كل من منطقتي اللب والعقل، وتسخير كل من العقل واللب لصالح الغريزة.. فالغريزة طاقة كامنة بينما للعقل واللب طاقة نامية أي تنمو بالتدريب والتعليم، أما الغريزة فهي طاقة كامنة تقوى في غياب تلكما القوتين.

أمّا إذا كان الباطن واعياً فسوف تكون قنوات التواصل جميعها في حالتها المثالية، فلا صراعات بين مكونات الوحدة الأساس، وكل منطقة منها تقود في المسائل والمواضيع والأمور الخاصة بها ولا تتجاوز حدودها، عندها نخلق فرداً متوازناً ومنه نخلق مجتمعاً منسجماً ومتزناً. إن خلق مثل هذا المجتمع المنسجم في نسيج أمتنا ليس بالأمر الصعب، فقط أولاً يجب إعطاء الدور الحقيقي لأصحاب العقول النيرة والمبدعين والعباقرة والمفكرين والعلماء والأدباء والفنانين الحقيقيين، والذين أراهم منفيي ومغتربي الداخل، ولا تزال الفرصة متاحة رغم كل هذا السواد في تلك اللوحة.

الفصل الثالث

ملحقات

- تعاريف:

نود أن نقوم بوضع تعاريف محددة لكل عملية فكرية، ولكل عمل يتعلق بالوحدة الواحدة كي نرتب أفكارنا، وننطلق إلى رؤيا محددة وواضحة.

- الفكرة:

هي صورة جديدة تظهر لأوّل مرة ترسم بالكلمات، وغالباً لا تكون مطبقة من قبل، وتأتي دوماً في رأس شخص واحد على الأغلب. لكنها غير مفيدة مهما علا شأنها إن لم تصبح سارية المفعول والتطبيق، وإلا بقيت جملاً إنشائية لا جدوى منها.

- الفكرة المميزة:

هي الفكرة التي تملك الدهشة الإبداعية ضمن بيئة ما، وتظهر كأنها أقرب إلى الخرافة، وغالباً ما تعارض من قبل مجتمعها لأن العقل الجمعي لا يستطيع أن يتصورها أو يتخيلها، ومثل هذه الأفكار المميزة هي التي تنقل المجتمع من موجة إلى أخرى، وكلما كانت

الفكرة المميزة غير مرغوب بها، كانت تحمل من التغيير الشيء الكثير، أي أنها فكرة إبداعية بامتياز.. ومثال ذلك: كانت الطائرة قبل أن يصنعها الأخوان برايت عام (١٩٠٣م) أقرب للخرافة.

- الفكر:

هو حصيلة عدة أفكار تحملها مجموعة ما في مجتمع ما، شكلت لديه بنية فكرية وبيئة يقوم بتنفيذ ما يراه مناسباً من خلالها، وأخطر شيء عندما يكون هذا الفكر ثابتاً لا يتطور، مما يؤدي إلى انقراض هذا المجتمع لعدم تماشيه مع حركة التطور الإنساني، أو أنه سوف يدفع ثمناً باهظاً جداً، ولن يتخلص من هذا الدمار، والهلاك، والإبادة النهائية إلا إذا تبنّى أفكاراً جديدة توائم حركة التطور الإنساني، ومهما ملك هذا الفكر من قوة فإنه لا يستمر إلا إذا تحلّى بديناميكية عالية تضمن له البقاء، وخلود متبنيه.

- الفلسفة:

هي منتج علمي نتج من دمج عدّة علوم بعضها ببعض، لتوضح رؤيا ما من زاوية ما تساعد على فهم أكثر الأفكار التي طرحت في الأحقاب القديمة والأفكار التي تطرح حالياً، وبالتالي تصبح بحد ذاتها منهجاً، لكن الجميل بهذا المنهج المنتج أنه غير مؤدلج بل تستطيع أن تنهل منه لتولد أفكاراً جديدة تصنع من تلك الأفكار الجديدة منهجاً مؤدلجاً.

- **الإدراك:**

يتعلق الإدراك بكمية المعلومات التي تخزنها الذاكرة بعد معالجتها من قبل أساسيات الوحدة الأساس، فتبدأ بتلمّس الأشياء فكرياً، لتكون فكرة عن طبيعة الأشياء المادية أو اللامادية.

- **الوعي:**

هو العملية التي تلي الإدراك من حيث أهمية تلك الأشياء لاستخدامها بالشكل الأمثل، محاولاً الحفاظ على استمرارية بقائه وتطوير جنسه البشري.

- **الوعي الكامل:**

هو التفاعل الخلّاق بين أساسيات الوحدة الأساس عن طريق القناة التفاعلية، محدثاً حالة إبداعية نجدها عند العباقرة والمبدعين.

- **الحدس:**

هو معالجة الأشياء المادية بالإحساس اللامادي.

- **الذكاء:**

هو قوة التركيز لربط المسائل المادية مع بعضها بعضاً، أو ربط المسائل اللامادية أيضاً، حسب الوسائل المعالجة لإعطائها حلّاً مناسباً أو حلّاً أمثل.

- **التركيز:**

هو ربط عدة عمليات أو عدة خيوط تتعلق بمسألة واحدة أو أكثر في لحظة واحدة، وهو الركن الأساسي للذكاء.

- التفكير الفردي:

هو العملية التي يتبناها أي شخص بعد إدخاله كمية كبيرة وحاسمة من المعلومات التي تؤهله لاستنباط أفكار جديدة، ضمن أسلوب ورؤيا استنبطهما من خلال قراءته للحياة والظواهر، وتفسيره من وجهة نظره لكل ما خزنه من معلومات استمدها من قراءته للعلوم وتجاربه، وهذا الأسلوب يولد للشخص نهج حياة تتناسب أو لا تتناسب مع بيئته، ولكن عدم تناسبه مع البيئة لا يعني أنه على خطأ بل العكس في بعض الأحيان، فعلى الأغلب إذا كان هناك اتساع وعدم تلاقٍ بين تفكير هذا الشخص وبين بيئته، فعلى الأغلب يكون هو على صواب والبيئة المحيطة به تكون على خطأ، وذلك إذا تماشى تفكير هذا الشخص مع حركة التطور الإنساني بالاتجاه الموجب لا العكس، فحركة التطور الإنساني للجنس البشري هي التي تشكّل الحد الفاصل في هذه المسائل. فمثلاً إذا كان المجتمع لا يزال من مجتمعات الموجة الأولى وتفكير هذا الشخص ينادي بدخول هذا المجتمع أو ذاك لوضعه على بداية خط الموجة الثانية فسيكون الشخص على صواب، ولكن على الأغلب وحسب الدراسات التاريخية وبشكل قطعي يبقى تفكير هذا المرء غير مطبق حيث نراه يعيش في عالم، ومجتمعه يعيش في عالم آخر، وهذه هي حال العباقرة والفلاسفة في التاريخ، خاصة إذا كان مجتمعه يعيش حالة من

الرخاء والرفاهية، عندها لا يرغب هذا المجتمع في تطبيق هذا الفكر لأنه مستمرئ ومرتاح ويلهو، والناس - عبر التاريخ - مولعون جداً باللهو، وغير مولعين بالثقافة، وبالأخص ثقافة الموجة الأولى، لذلك نجد هذا الفكر الذي أنتجه هذا الشخص لا يطبق إلا في حالتين، الأولى عندما يأتي سياسي ويتبنّى هذا الفكر وهذا الأسلوب من التفكير، فيعمل على نزع أسلوب التفكير القديم، وتعليم أسلوب التفكير الجديد، ويعمل على نشر هذا الفكر بالقوة والقمع - طبعاً - القمع الإيجابي ونقصد به التوجيه نحو الهدف والصواب ولو بالقوة، فمثلاً الأب يضرب ابنه إذا عمل عملاً شائناً لا ليتشفى منه بل لأنه يريده أن يكون الأفضل. وكان الضرب لاجتثاث أسلوب التفكير القديم، وتعليم أسلوب التفكير الجديد بالقوة، لأن المجتمع قد استمرأ أسلوب التفكير القديم فصاغ بذلك تكوينه الذهني والنفسي، ولن يتخلى الناس عن هذين التكوينين إلا قسراً، لذلك نرى أن ستالين وبطرس الأكبر وحتى ماوسيتونغ عملوا على القمع الإيجابي لشعوبهم لينقلوها من أسلوب التفكير القديم إلى أسلوب التفكير الجديد.. أو إذا دخلت على هذا المجتمع أو الدولة حرب من الخارج عندها يسهل على الدولة تطبيق هذا الفكر إذا نوت ذلك، وإلا سوف تهلك تلك الدولة، وقد تنقرض أو تصبح دولة تابعة.

- **التفكير الجمعي:**

لا وجود للتفكير الجمعي بالمجتمعات المتخلفة لذلك نجدها تتحرك بحركة عشوائية لا تغني ولا تسمن من جوع، فالتفكير الجمعي هو أسلوب حضاري تتبناه المجتمعات الحضارية المتقدمة وتعلمه وتزرعه في أبنائها من خلال المدارس منذ الحضانة وحتى الجامعة، يتدرب فيه الإنسان على أسلوب متجانس مع أبناء مجتمعه في أسلوب التفكير، ولا نعني بأسلوب التفكير الجمعي أن أبناء هذا المجتمع جميعهم يتبنون الأفكار نفسها، بل العكس نجد أن كل شخص منهم يولد أفكاره الخاصة، ولكنها كلها تصب في المنحى العام ذاته، وتعمل على تطوير هذا التفكير. والجميل في عملية التفكير الجمعي أنه يخلق عادات وتقاليد أخلاقية مشتركة بين أفراد المجتمع وهم موافقون عليها، لذلك نرى الحوادث الأخلاقية وغير القانونية قليلة جداً، وقد تصل تقريباً إلى الصفر.. وتتنافس حالياً الدول المتقدمة جداً، ونقصد بها دول الموجة الثالثة مع بعضها بعضاً ليشب إنتاج المنتجات المتميزة والمتطورة فقط، والأهم من ذلك هو تطوير المنتِج أولاً ألا وهو الفرد (الإنسان)، حيث ترى أنها لو استطاعت أن تصل بالفرد لديها إلى الكمال بسن أقل من سن الدول الأخرى فإنها بذلك تكون متفوقة عليها، وهذا الكلام لا يشك في صحته، لهذا

نجد الدول المتقدمة تصرف أموالاً طائلة في بناء الناشئة، لتضمن استمرار بقائها أي استمرار الجنس البشري الخاص بها.. ومن أجل أن تخلق أجيالاً متميزة تبدأ بتعليمها الفنون، ولاسيما الموسيقا، لما لها من أهمية وفائدة وتوحيد للفكر الجمعي، وسنفرد فقرة خاصة تشرح أهمية الموسيقا في عملية بناء الناشئة.

- البحث العلمي:

هو في ظاهره يكون من أجل تطوير العلوم، وإحداث تغيرات جديدة تؤدي إلى إنتاج منتجات جديدة ينجم عنها عملية ربحية، وتطوير في الوسائل الخدمية والترفيهية والمعاشية، لكن في باطنه هو الصراع من أجل البقاء، فالأمة التي لا تعمل في مجال البحث العلمي سوف يكون مصيرها إما الزوال أو التبعية، أي لا مكان لها بين الأمم.

- المثقف:

هو سلوك الفرد بعد نهله واطلاعه على العلوم الدينية والفنية وبعض العلوم الإنسانية والمادية والفلسفية، ليقوم بعد ذلك بصياغة تكوينيه الذهني والنفسي بعد هذا الاطلاع الواسع إضافة إلى تجاربه الخاصة، ولا نسمي الإنسان الذي درس واطلع على كل هذه العلوم ولم يسلك نهجاً يعتمد عليها بأنه إنسان مثقف، بل نقول عنه إنه يملك معرفة فقط.

- المعرفة:

هي تلك البيانات والمعلومات التي يتلقاها الفرد، نتيجة اطلاعه ودراسته العلوم والفنون والفلسفة وأمور أخرى إضافة إلى تجربته الشخصية، ولا يشترط من هذا الفرد أن يصبغ ويصاغ بهذه العلوم بل يكفي أن يكون حاملاً لها.

- القدرات الثقافية:

هي الناتج الجمعي لأفكار مجتمع ما، كونت لديه عادات وتقاليد وأعراف أخلاقية معينة مستمدة من الدين، والفنون، والفلسفة، والعلم.

- الحضارة:

تقسم الحضارة في رأينا إلى نوعين يغذيان بعضهما بعضاً وهما الحضارة الإنسانية والحضارة المادية، فالحضارة الإنسانية هي الحضارة المبنية على الدين والفنون والفلسفة، أي هي الناتج الإنساني للثقافة والمعرفة، أما الحضارة المادية فهي التفاعل الخلّاق لمجموعة من البشر عندما تتوافر كمية كبيرة وحاسمة من القدرات الثقافية من جهة، والموارد المادية (الموارد الطبيعية) من جهة أخرى. وبعبارة أخرى هي التفاعل الخلاق بين القدرات الثقافية التي يحملها الإنسان وبين الطبيعة، عندها تبدأ مسألة الإبداع والخلق التي تؤدي إلى خلق منتجات إبداعية

غير موجودة ناتجة عن هذا التفاعل، وبعدها تبدأ العملية التطويرية بوساطة الدفع الذاتي لهذه العملية الإنتاجية، فتظهر لنا الحضارة المادية عن طريق المنتجات الجديدة والمتطورة، واستمرار ذلك التطور دليل على استمرار تلك الحضارة المادية واستمرار مجتمعها بالتقدم والازدهار.

- الديانة:

هي كل التشريعات والقوانين والسنن التي يسنها ويشرعها مجتمع ما نتيجة معتقدات ما قابلة للتغيير، تصبغ وتصوغ كل أبعاد حياة هذا المجتمع، كما تقوم على قولبة هذا المجتمع عن طريق طقوس معينة خاصة بكل ديانة مهما كانت هذه الديانة سماوية أم غير سماوية. وإذا لم تتصف هذه الديانة بالديناميكية والتجديد والتطوير، وتستطيع أن تتماشى مع كل الموجات الجديدة والقادمة والأبعد قدماً، فإن هذه الديانة سوف تندثر.

- الدين:

يختلف فهم الدّين عن فهم الدّيانة، فيشترط بالدّيانة أن تكون متجددة كي تتماشى مع الموجات، بينما يملك الدّين قيماً ثابتة لا تتغير مهما دخلت تلك المجتمعات في موجات جديدة، وأهم ثابت في الدّين إن لم نقل الوحيد هو عبادة الله والتسليم بوحدانيته، ومن أهم أعمال الفرد – إذا أراد أن يعبّر عن حبه لله بعبادته – أن

يتجه نحو العلم ليقدمه قرباناً في سبيل الله لتطوير البشرية، والاتجاه نحو الهدف الذي رسمه الله لهذا الكون وللإنسان. وتتجلى صيغة العبادة بكلمة اقرأ بصيغة الأمر في سورة العلق.

- الطاقة:

هي كل قوة تولد عملاً ما ناتجاً عن الحركة المنتظمة، والحركة المنتظمة هي شرط أساسي لإنجاز المهمة وإلا ذهبت تلك الطاقة سدى. فالمجتمعات التي لا تتحرك بحركة منتظمة هي مجتمعات متخلّفة لأنها لا تنتج عملاً مهما امتلكت من قوى وإمكانات وقدرات.

- الجنس البشري من وجهة نظر الأوروبيين الغربيين:

قد يُظَن أن هذه الفقرة موضوعة قسراً بين فقرات هذا الكتاب، لكن ما نود تبيانه أن الحديث لا يهتم بموضوع الجنس البشري من وجهة نظر علمية، بل هو إلقاء الضوء على طريقة تفكير تتبناها مجموعة من الأمم أو الشعوب، ألا وهي مجتمعات العرق الأبيض في القسم الغربي من القارة الأوروبية، ولا سيما البريطانيون وربيبتهم الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك الألمان، فمن الضروري ذكر هذه الفقرة لنبين ماهية هذا التفكير، وعلى أي فكر اعتمد، ومن هم مفكروه لأخذ الحيطة؟ وتبني فكر يستطيع أن يجابه هذا الفكر الشوفيني العنصري.

يرى الغرب أنه هو فقط العرق الأبيض وأنه هو الجنس البشري، وباقي العروق ما هي إلا خادم لهذا العرق الأبيض يمتلكها ويفعل بها ما يشاء، ويستطيع قتلها متى أراد حسب الحاجة، وهذا الفكر ليس وليد قرن أو قرنين، بل وليد قرون وقرون مضت ونستطيع أن نحدده على الأقل بالقرن السادس ميلادي إن لم نقل من قبل، وأتى هذا الفكر من عدة مصادر مختلفة أولها الفكر التوراتي الذي أعجب به الغرب، وبالأخص فكرة شعب الله المختار، وكذلك من غزو قبائل وشعوب الهون والأنجل والسكسون لهذه القارة في القرن الخامس الميلادي، مع العلم أن الأوروبيين أشرس من القبائل الغازية، وكان شعب الأنجل يتمتع بتنظيم عظيم ومتطور، فاستطاع أن يحتل المقاطعات البريطانية ويوحدها فسميت بذلك إنكلترا نسبة إلى شعب الأنجل، واستطاع الشعب السكسوني أن يدخل بريطانيا ويمكث فيها. وكان شعب الأنجل يرى نفسه أيضاً شعب الله المختار، كانت هذه الشعوب تعمل على استعباد الناس، صحيح أن عصر الرق ما زال منتشراً في كل البلدان تقريباً، إلا أن معاملة الأوروبيين لعبيدهم كانت أقسى بكثير تصل إلى مرحلة قتلهم وأكل لحومهم، كما كانت هناك محلات لبيع لحوم البشر العبيد، ولحم البشر -عندهم - أهم من لحم الحيوانات، وتجلى ذلك بصورة واضحة لا لبس فيها أثناء الحملات الفرنجية على البلاد العربية، وكيف كان هؤلاء مصاصين للدماء، وحين

يدخلون منطقة ما، كانوا يقتلون أهلها بلا استثناء ويأكلون لحم بعضهم، فمثلاً عندما دخلوا مدينة المعرة في سورية الحبيبة ولم يكن أهلها يملكون من المقاومة ما يكفي لذلك عام / ١٠٩٧م /، سلمت المدينة نفسها ليسلم أهلها من القتل، ولكن الفرنجة عملوا على قتل أبناء مدينة المعرة والقرى المجاورة لها والبالغ عددهم حينذاك حوالي مئة ألف نسمة واستمرّ قتلهم مدة أسبوع كامل مع أكل بعض من لحمهم، وانتشرت رائحة الموت مدة من الزمن. هذه هي ثقافتهم ولا تزال، فضلاً عن نهب خيرات المنطقة والعمل على تجهيل أهلها لما عرفوه من أهمية العلم، فمثلاً عندما دخلوا طرابلس في لبنان، سرقوا أضخم مكتبة آنذاك وكان عدد الكتب التي سرقوها (مئة ألف مجلد).

لقد بدأ هذا الفكر يتنامى عند العرق الأبيض ويتعاظم، فدخلت أوروبا في صراعات عرقية، محاولاً هذا العرق التوتون والأنغلوسكسوني أن يسيطر على العرق اللاتيني (المتوسطي)، معبّراً في أدبياته عن تميزه عن اللاتيني الأبيض الذي يراه درجة ثانية، ولا بأس إذا بقي على قيد الحياة يخدم العرق الصافي ألا وهو التوتوني والأنغلوسكسوني. يقصد بالأنغلوسكسوني والتوتوني الشعوب والقبائل الآرية وشعب الأنجل وشعب السكسون والتوتوني والنروندي أي (بريطانيا وألمانيا والنمسا ودول أوروبا الغربية التي لا تطل على البحر الأبيض المتوسط)، أما الدول التي تطل على البحر الأبيض المتوسط

كفرنسا وإيطاليا مثلاً فهي من الدرجة الثانية، بينما العروق الأخرى كالعرق الأصفر أو العرق الأسود أو.... فهي مصيرها الموت ويجب أن تزول من على وجه الكرة الأرضية.

لقد تعززت هذه النظرية في بداية القرن التاسع عشر عندما أطلق مالتوس نظريته المخيفة في عدد السكان، والتي قال فيها إن العالم يتضاعف أربعة أضعاف كل قرن وفق سلسلة هندسية، وأن العالم سوف يتقاتل على الطعام بعد عدة قرون والتي أثبتت صحتها عندما شاهدوا نتائجها في القرن العشرين، حيث إن العالم عام / ١٩٠٠م / كان عدد سكانه ملياراً وستمئة مليون نسمة وفي عام / ١٩٥٠م / أصبح مليارين ونصف المليار، وفي عام / ٢٠٠٠ / أصبح عدد سكان العالم ستة مليارات نسمة. لقد عززت تلك الإحصائية نظرية مالتوس، وزاد الطين بلة أي زادت عنوتهم عنوة عندما أصدر داروين نظريته في كتابه (أصل الأنواع) أو تحت اسم (البقاء للأصلح) عام / ١٨٥٩م / عندما تكلم به عن أن الصراع للبقاء ينتهي ببقاء الأقوى، فبدأت الدول الغربية تزيد من قوتها، وكل ما نسمع ونرى من نتائج البحوث هو من أجل أن يستمر الجنس البشري لهذه الأمة أو تلك، طبعاً بعد نشر دارون لنظريته تكالب معظم الأدباء والمفكرين والفلاسفة، ونشروا ذلك الفكر بشكله السياسي والفلسفي الذي يدعم نظرية الجنس البشري للعرق الأبيض، مع

العلم أن داروين درس وطرح الموضوع من جانبه البيولوجي المنسجم مع قوانين الطبيعة، ولكن ما العمل إذا كانت تلك هي بالطبع قوانين الطبيعة، فبالفعل الأقوى يقضي على الأضعف. والأخطر من كل هذا هو (جاريت هاردن) أفندي عندما كتب في كتابه «أخلاقيات قارب النجاة» أخطر موضوع على سطح الكرة الأرَضية ويدعم ويعزز نظرية الجنس البشري للعرق الأبيض، فعدَّ الكرة الأرضية قارب النجاة وليس فيها من الطعام ما يكفي الجميع، مدعماً نظريتي مالتوس وداروين، كما أضاف هاردن في أخلاقيات قارب النجاة فقال «أليس من الطبيعي والمنطقي أن يذهبْ الطعام إلى من يستحقونه ويتمتعون بأكبر فرصة من النجاة وألا نخاطر بسلامة الجميع بإحضار ركاب جدد؟» ثم يسأل فيقول «ماذا يحدث إذا اقتسمت المساحة في قارب النجاة» ثم يجيب فيقول «يغطس القارب ويغرق الجميع، إذن العدالة المطلقة تعني الكارثة المطلقة»..... ويتابع فيقول «والعلاج الذي يقدم لتخفيف ألم صراعنا بسيط وهو كفوا عن الإحساس، فالأخلاق الدينية قد مضى عهدها في هذه الحقبة الجديدة من الندرة، وأن التعاطف شرف لم نعد نحتمله، وأن نزعة فعل الخير الدينية هي الجذر الحقيقي لمأزق العالم الراهن» ثم يضيف ويقول «يقال لنا إننا يجب أن نتعلم أخلاقاً جديدة وهي أخلاقيات العقل المجرد، لذلك لابد أن نتعلم كيف ندع الناس يموتون من أجل

البقاء النهائي للجنس البشري».. ويأتي من بعده (بيتر كوللير) ويضع مصطلحاً جديداً وهو «نوفوكايين للأرواح القلقة» بمعنى لابد أن نقتل مشاعرنا لكي نضع حداً لقلقنا.

ما دعاني لكتابة هذه الفقرة هي لفت الانتباه لكيفية تعريف الغرب الجنس البشري، وتبيان طريقة تفكير البشر وأسلوبهم، والمقصود بالغرب، هنا،الأدباء والمفكرون والفلاسفة الذين يخدمون طبقة معينة أو فكراً معيناً، وأهمهم على الإطلاق المستشرقون الذين يطلق عليهم أيضاً اسم سفراء الماسونية... هذه الماسونية التي تسعى دوماً لصبغ كل المجتمعات الأوروبية وصياغتها، من أجل تبني فكرها عن طريق نشر الكتب الأدبية والثقافية المتعلقة بهذه المواضيع.

- حركة التطور الإنساني:

ترتبط حركة التطور التاريخي بحركة تطور الوحدة الواحدة بطريقة جدلية ديالكتيكية، منتجة قدرات ثقافية من جهة ومنتجات عينية من جهة أخرى. فمن حيث التعريف هي التراكمات التي راكمتها الأمم من خلال تشييد حضارات شاركت وساهمت كل حسب قوتها في صياغة هذا الخط البياني، المتمثل بشكل مستقيم تصاعدي تسير عليه الأمم والحضارات مهما اختلفت في دياناتها وأعراقها، واندثار كل أمة مهما علا شأنها إن لم تسر على خطا هذا الخط البياني.

بدأت حركة التطور الإنساني لحظة وجود الكائن البشري على سطح الكرة الأرضية، ومن ثمَّ يمكن اعتبار تلك اللحظة هي بداية حركة التطور الإنساني المنطبقة على محور التأريخ، ولتكن اللحظة صفر، وباعتبار أن لكل محور بداية ونهاية لذلك بداية محور التأريخ هي (ناقص لا نهاية) ونهاية محور التأريخ هي (زائد لا نهاية)، إن الإنسان غير مسؤول عما قبل اللحظة صفر كما أن اللحظة ناقص لا نهاية هي لحظة زمنية حقيقية موجودة حتى ولو لم نعرف قيمتها ومتى لحظتها، وهي لحظة تكون الكون، فالزمن من لحظة الناقص لا نهاية حتى اللحظة صفر ليس من صنع الإنسان بسبب عدم وجوده، وبما أن اللحظة ناقص لا نهاية هي لحظة لها قيمة مهما كانت قيمتها كبيرة وهي لحظة تشكل الكون، كذلك اللحظة زائد لا نهاية هي لحظة لها قيمة كبيرة وهي لحظة انتهاء الكون، وباعتبار أن لأي شيء في الوجود سبباً وغاية، فإن سبب وجود الإنسان على هذه الكرة الأرضية هو إكمال ما خلقه الله، لأن الإنسان هو نفسه غاية الحياة لأنه من روح الله.

إنّ الموجة صفر لم ترق لخلق تجمعات سكنية ثابتة ومستقرة، فنجد أن الموجة صفر هي جزء من محور التأريخ، كما في الشكل التالي:

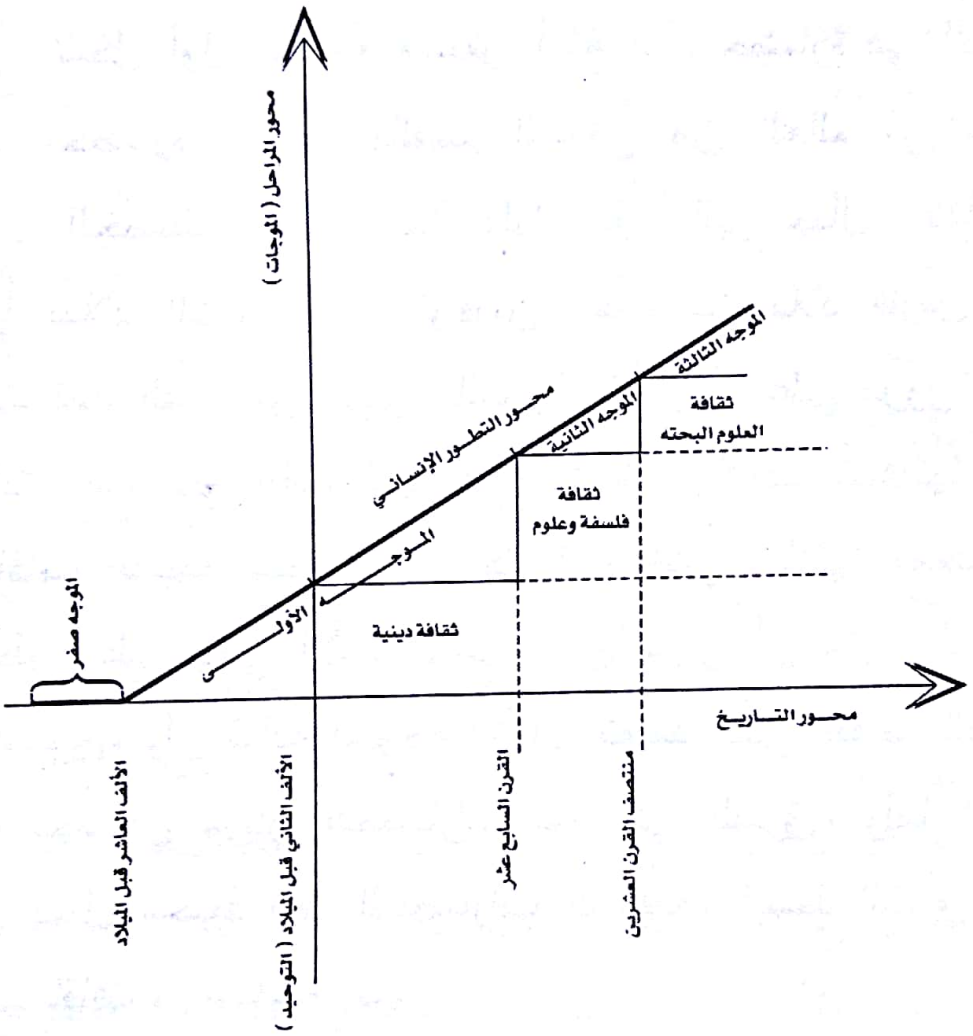

حركة التطور الإنساني

وإن لم تقدم الموجة صفر تطوراً في حركة التطور الإنساني، فإنها كانت بداية النواة لخلق ثقافة دينية ناتجة عن الخوف والهلع من الطبيعة، فتشكلت بذلك فكرة الآلهة..

إنّ تشكل أول مجتمع مستقر أنتج أوّل حضارة في التاريخ، وهذه الحضارة تشكلت بالقسم الشرقي من العالم في منطقة الهلال الخصيب الممتد من دلتا النيل إلى جبال الأناضول مروراً ببلاد الشام وبلاد الرافدين وجزء من بلاد فارس، وقد سميت تلك الفترة من الزمن بالموجة الأولى. وعلى مرور الزمن تشكلت عدة حضارات كلها في الشرق، وكانت ثقافاتها تتسم بالثقافات الدينية حيث تسعى كل أمة لنشر ديانتها ومعتقداتها لتسيطر على باقي الأمم الأخرى، وباعتبار أن منبع الديانات في الشرق، وأن ثقافة الموجة الأولى تعتمد على الثقافة الدينية، لذلك نجد أن مركز الحضارات كان في الشرق، وأما الغرب فكان يمثل محيط تلك الحضارات الشرقية، فبسط الشرق على الغرب ثقافته، وصاغه بها.

أنتجت هذه المرحلة (الموجة الأولى) قدرات ثقافية (علوم على أسس دينية، فنون على أسس دينية، فلسفة على أسس دينية) اتسمت وانصبغت بالثقافة الدينية حيث نجد الثقافة اللاهوتية تملأ كل كتاب وكل علم وكل فن وكل فلسفة إلا ما ندر، كما أنتجت منتجات تدل على حركة التطور الإنساني في تلك المرحلة وهي

الأهم، فنجد أن حضارة بابل اخترعت العجلة عام (٣٠٠٠) قبل الميلاد وكذلك الشادوف، ومنتجات كثيرة سنوردها بآخر الفقرة. لقد اكتسبت وأكسبت هذه الموجة من وإلى الوحدة الواحدة، فأوصلتها إلى مرحلة نضجها النهائي فوصلت بذلك إلى مرحلة الشيخوخة التي أنتجت من بعدها مولوداً جديداً يافعاً، ولد بدوره مرحلة جديدة من مراحل حركة التطور الإنساني، وهي الموجة الثانية المبنية على قدرات ثقافية جديدة تختلف عن ثقافة الموجة الأولى بشكل جذري، هذه القدرات الثقافية الجديدة هي (الفلسفة والمنطق الخاص بالإنسان، الفنون الإنسانية، العلوم الإنسانية والعلوم المادية البعيدة عن السماء) فأنتجت بذلك عصوراً جديدة مثل عصر النهضة وعصر الفلسفة وعصر التنوير وعصوراً أخرى ضمن الموجة الثانية، وكان مركز تلك الثقافة في القسم الغربي من العالم فانتقل مركز الحضارة من الشرق إلى الغرب، وأصبح الغرب هو مركز الحضارات وأصبح الشرق هو محيط تلك الحضارة الغربية، وزاد هذا المركز قوة عند اكتشافه قارات جديدة هي الأمريكيتان وأستراليا والقطبان الشمالي والجنوبي وقام على استغلالها، كما رافقت هذه الموجة منتجات تدل على حركة التطور الإنساني في تلك المرحلة. لقد كان لهذه الموجة الفضل في تطوير الوحدة الواحدة فازداد عرض القناة التفاعلية لتدخل إلى مرحلة جديدة، وهي الموجة الثالثة التي تتسم ثقافتها بالعلم البحت فأدى ذلك إلى تقوية تلك الحضارات.

إنّ انتقال مركز الحضارة من الشرق إلى الغرب يعود لعدة أسباب أهمها:

١- **دوماً تحاول** الأمم الحيّة وأؤكد على كلمة حيّة التي تقع على **محيط المركز**، أن تكون هي مركز الحضارات هذا من حيث **الدافع الذاتي**.

٢- **عدم** التأثر المباشر والمؤثر بثقافة حضارة المركز، يجعل **لديها** مساحة من الحرية **في** التفكير بثقافة جديدة.

٣- هرم حضارات المركز ودخولها في حالة جمود.

٤- نزول الديانة المسيحية قبل الديانة الإسلامية بستمئة عام تقريباً أوصل أممها إلى طلب التغيير بالثقافة لأنها وصلت الديانة (لا نقصد لأنها ديانة مسيحية بل مهما كانت الديانة) إلى طريق مسدود، حيث لم تعد الديانة تملك الحقيقة المطلقة.

٥- تبني المجتمعات الغربية لأفكار وإبداعات مبدعيهم من فنانين وفلاسفة وعلماء ومفكرين وعباقرة على عكس المجتمعات الشرقية مما ساهم مساهمة كبيرة وحاسمة في دخول الموجة الثانية. وأسباب أخرى، مما تقدم نستطيع أن نلخص ما يلي:

- **الموجة صفر**: بدأت من اللحظة صفر حتى الألف العاشر قبل الميلاد (وقد لم تتشكل فيها ثقافة، لكن لا تزال هذه الفترة مجهولة على العلماء حتى الآن على الأقل).

- **الموجة الأولى:** بدأت من الألف العاشر قبل الميلاد حتى القرن السابع عشر ميلادي (ثقافتها ثقافة ديانات محلية وديانات سماوية ومنتجاتها منتجات الإبداع المرئي).
- **الموجة الثانية:** بدأت من القرن السابع عشر ميلادي وحتى منتصف القرن العشرين (ثقافتها المنطق والفلسفة والفنون وبعض العلوم البحتة ومنتجها منتجات الإبداع غير المرئي).
- **الموجة الثالثة:** بدأت منذ منتصف القرن العشرين وحتى الآن (ثقافتها العلوم البحتة الحديثة).

أما من المنتجات فهي كما يلي:

- **الموجة صفر:** لا يوجد.
- **الموجة الأولى:** مراحل الموجة الأولى هي (العصر الحجري – العصر النحاسي – العصر البرونزي – العصر الحديدي) اتسمت منتجات العصر الحجري (الألف العاشر قبل الميلاد) بالمنتجات المصنوعة من الأحجار وهو إبداع مرئي، اتّسم العصر النحاسي (الألف السابع قبل الميلاد) بالمنتجات المصنوعة من النحاس وهو أيضاً إبداع مرئي، ومن أهم منتجاته السيف النحاسي والأسلحة الحربية، والأدوات المنزلية، وأدوات الصيد. وكان من يملك سلاح العصر النحاسي ينتصر على من يملك سلاح العصر الحجري، ثم جاء العصر البرونزي (الألف الخامس قبل الميلاد) حيث تم اكتشاف مادة القصدير فتشكل

العصر البرونزي من خلط النحاس بالبرونز بنسبة واحد من القصدير إلى تسعة من النحاس، فنجد أن من كان يملك السلاح البرونزي ينتصر على من كان يملك السلاح النحاسي، وأصبح معظم الأدوات من البرونز، كذلك نجد أنه من كان يملك سلاحاً متطوراً من العصر نفسه كان ينتصر، فمثلاً انتصر الرمح البرونزي على السيف البرونزي بسبب طوله، وانتصر الرمح الطويل على الرمح القصير، وفي منتصف الألف الثالث فاجأ الأكاديون البابليين أثناء المعركة بسلاح جديد وهو القوس الذي كان يرمي النبال من بعيد فأدى إلى هزيمة بابل أمام الأكديين، وكذلك في الألف الثالث تم اكتشاف الحديد وبدأت تتحول معظم المنتجات والأدوات، وتصنع من مادة الحديد وخاصة بعد اكتشاف التعدين وصهر مادة الحديد، وأوّل من استخدم الحديد في الأدوات والأسلحة الحربية هم الحثيون، فكوّنوا إمبراطورية كبيرة في الشرق والغرب، فكانوا أول من استخدم السيف الحديدي فانتصر السيف الحديدي وهزم السيف البرونزي، وذلك في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. ومن المنتجات الحضارية الهامة المنسوجات بشكل عام وخاصة الحرير، وكذلك الخزف ويعتقد أن أوّل حضارة أنتجت الحرير والخزف هي حضارة الصين، التي أنتجت أكثر المنتجات الحضارية الهامة آنذاك، ولكن بعدها عن مركز القارات (العالم القديم) وعدم حبها للحروب لطبعها المسالم المصبوغ بطبيعة ثقافتها الدينية جعلها

في عزلة ثقافية فلم تؤثر ثقافياً على باقي الحضارات رغم دخول منتجاتها إلى معظم الأمم في تلك المرحلة (الموجة الأولى)، فمن أهم منتجاتها اختراع البوصلة في القرن الثاني ميلادي والتي دخلت إلى أوروبا في القرن الرابع عشر، وكذلك صناعة الورق أيضاً في القرن الثاني ميلادي، ودخل على الحضارة العربية في القرن الثامن ميلادي أيام هارون الرشيد ثم أخذه الغرب من العرب في القرن الثالث عشر أيام الحروب الفرنجية، والحبر الأحمر في القرن الثاني ومن بعده الحبر الأسود في القرن الرابع ميلادي، وعليه أصبح استعمال الحبر الأحمر ميزة خاصة بالأباطرة، أضف إلى ذلك اكتشاف البارود في القرن الثامن ميلادي، واستخدامه في الألعاب النارية في الصين، ثم كقنابل دفاعية في أواخر القرن العاشر ثم نقل إلى أوروبا بوساطة السفن والتجار العرب، وسفن الينك الصينية والتي تعدّ من أضخم السفن الشراعية وأولها آنذاك التي كانت تستطيع أن تجوب المحيطات، ومن منتجات الشرق غير الصينية الزجاج في الألف الثالث قبل الميلاد في سومر والشادوف الذي يرفع الماء من الآبار في بابل، واخترع المصريون ورق البردى، كما أنتج الشرق العلوم والفنون وأهمها آنذاك فن الأسطورة، فنجد أن معظم المنتجات إن لم نقل كلها أوجدها الشرق ثمَّ أخذها الغرب بعد فترة من الزمن وبالتالي امتلك بذلك مفاتيح الحضارة في الفترة التي كانت فيها حضارات الشرق تدخل في سبات عميق.

- **الموجة الثانية:** باختصار شديد جلها منتجات غربية كانت بدايتها تعتمد على المنتجات الشرقية، ولكن أهم تحوّل هو اختراع المطبعة في أواخر القرن الخامس عشر ميلادي على يد الألماني غوتنبرغ، الذي أدى بفضل هذا الاختراع إلى انتشار العلم في أوروبا كلها، كما عملوا على صناعة الأسلحة النارية التي لم تكن موجودة بعد، فصارت بسببها من أقوى الأمم. إن انتشار العلم والثقافة والإيمان بهما كالإيمان بالله أدى إلى التغيير في وجهة نظر الإنسان، فبدأ ينظر إلى الأرض بدلاً من نظره للسماء وبدأ يفكر بنفسه وبالمادة بدلاً من التفكير بالميتافيزيقيا، مما أدى إلى ظهور ثورات حقيقية فكانت الثورة الصناعية، والثورة الزراعية والثورة العلمية، وثورات تساعده على بقائه وتطوير جنسه البشري. لا نستطيع أن نذكر منتجات تلك الفترة لكثرتها ولكن نستطيع القول إن كل ما حولنا من منتجات، هي منتجات غربية بامتياز وبالتالي انتقل مركز الحضارة من الشرق إلى الغرب.

- **الموجة الثالثة:** لقد بقي الغرب مركز الحضارات وذلك لعدّة أسباب أهمها أن الانتقال من الموجة الأولى إلى الموجة الثانية، هو انتقال نوعي لاكمي، بينما الانتقال من الموجة الثانية إلى الموجة الثالثة، هو انتقال تطويري (كمي).

- من كل ما تقدم نجد أن الأبطال الحقيقيين للقصة ليسوا السياسيين أو العسكريين أو رجال الأعمال أو حتى الصناعيين أنفسهم، بل المبدعين والعباقرة والفلاسفة والعلماء والمفكرين الذين هم من إنتاج المعلم الحقيقي، فعلى سبيل المثال عندما أطلق الروس قمرهم الصناعي الأول عام / ١٩٥٧م / قال الغرب لقد انتصرت المدرسة الروسية على المدرسة الغربية.

- الموسيقا:

إنّ الموسيقا قديمة وأبدية وظهرت قبل ظهور الكلمة، حيث ظهرت لحظة تشكيل الكون وما صوت الانفجار الكوني العظيم الذي شكل الكرة الأرضية والمجرات السماوية إلا أصوات موسيقية، وقد كتب الفلاسفة والمفكرون عن الموسيقا الشيء الكثير، وسنقدم بعض أهم المقولات التي كتبتها أيادي هؤلاء الفلاسفة والمفكرين، وسنبدأ بالفيلسوف كونفوشيوس..

- كونفوشيوس: (إذا أردت أن تعرف تقدّم أمة فاستمع إلى موسيقاها وإذا أردت أن تعرف تطور أمة، فاستمع إلى مغناها).
- نيتشه: (الحياة دون موسيقا عبث لا خير فيها) وقال (الحياة خطأ بغير موسيقا).
- بولتن: (كيف يتجرأ الذي لا يتذوق الموسيقا أن يسمي نفسه إنساناً؟!).

- مقولة يونانية قديمة: (الموسيقا أقرب طريق إلى الله).
- دانيال أوكتيل: (دعني أكتب أغاني الشعب ولا أبالي بمن يضع قوانينه).
- دامون: (عندما تتغير أساليب الموسيقا تتغير معها قوانين الدولة الأساسية).

ومقولات كثيرة وكثيرة جداً لا يمكن سردها كلها.

لقد اهتمّ الإنسان بالموسيقا منذ القدم، لأنها كانت تبعث له الطمأنينة والراحة، ولكن ضرورة الاهتمام بها في هذه المرحلة يجب أن ينظر له ليس على أنه أمر كمالي ترفيهي بل على عكس ذلك، وخاصة بعد أن تحوّلت الموسيقا من مجرد فن تؤدي مهام ما، إلى كونها علماً تتدرج تحت بند العلوم الإنسانية، وتقدم للإنسانية الشيء الكثير من خلال مساهمتها في تطوير الوحدة الواحدة.

عندما نتكلم عن الموسيقا لا نقصد بها الفن الهابط، كما لا نقصد بها الأغنية، بل لغة الموسيقا الآلية التي تجعل من الخيال منبعاً للأفكار. فمن فوائدها أنها تعطي للمجتمع ثقافة مشتركة ترتقي بالبشر إلى مرتبة الإنسان،وتلعب دوراً هاماً في التربية الأخلاقية سلباً أو إيجاباً، وذلك حسب النوع الذي يقدمه الملحنون وطبيعته، لذلك أجدها سلاحاً خطيراً ذا حدين، موجهاً إما على رقابنا دون أن ندري أو لصالحنا، فنرى الماسونية تستخدم مئات القنوات التلفزيونية الفضائية لبث الموسيقا الهابطة، لتحرف

شعوب العالم الثالث وتبعده عن جادة الصواب، ومن فوائدها أيضاً أنها تنمي الخيال الذي هو أهم من العلم ذاته، بل هو المصدر الأساسي للإبداع والبحث العلمي، فالعلوم كلها وجدت بسبب الخيال الذي صار بعد ذلك حقيقة.

استطاعت اليابان بفضل إيمانها بالموسيقا أن تعلمها بشكل إيجابي وأكاديمي لجميع أبنائها، وأن تصبح من الدول المتقدمة.

لقد استغرب الغرب نهضة اليابان بهذه السرعة الفائقة وتفوقها تكنولوجياً عليه، فقالوا: «لقد استطاع المعلم الياباني أن يتفوق على المعلم الأوروبي»، وذهبوا إلى اليابان ليعرفوا سبب نهوضها المذهل، فوجدوا عالماً عبقرياً مبدعاً اسمه (سوزوكي) قد ألّف منهجاً في الموسيقا وطبقه على أبناء وطنه منذ بلوغ الطفل السنة الرابعة موضحاً فيه طريقة تعليمها، والهدف منه، وقد نفذ هذا المنهج في أرجاء اليابان كلها من مدارس ومعاهد، فتحوّل أبناء اليابان إلى جوقة واحدة متناغمة فيما بينها، فأخذ علماء الغرب ما رأوه وذهبوا لبلادهم وطبقوه، فلا غرابة أن نجد إذن أبناء العرق الأصفر كلهم والأوروبيون أيضاً يجيدون العزف دون استثناء.

نتمنى من مديرية التربية ومديرية الثقافة وأجهزة الإعلام، أن تهتم بهذه المسألة الخطيرة التي قد ترفع الأمة، أو تحرفها، أو تنحدر بها نحو الهاوية.

خاتمـة

التطور سنّة من السنن الكونية والتغيير سنّة من السنن الكونية، والتطور يبدأ عند وجود المنتج بشكله الأوّلي البدائي، بينما التغيير يبدأ عندما تصل عملية التطور إلى شكلها النهائي، فتشيخ وتهرم عملية التطور لتحل محلها عملية التغيير فيتم بذلك البحث عن أدوات جديدة، وابتكارات جديدة لبعث حركة التطور الإنساني من جديد.

لا تتم مرحلة الانتقال من عملية التطور إلى عملية التغيير إلا عندما يتحقق أهم شرطين أساسيين وهما:

الأول: وصول المنتج إلى شكله النهائي وحده الأقصى حسب قواعد عملية التطور، ورؤيتها، وإمكاناتها.

الثاني: التعرض لقوة قسرية ما تهدد وجوده، وهذا على الأغلب، أو الوصول لحالة وعي جمعي أدركت فيه أن عملية التطور قد آتت أكلها في البحث عن البديل، ومن ثمَّ تبدأ عملية التغيير.

وما دام لكل عملية أو لكل مرحلة زمنية شروط للتطور، فإن لكل مرحلة زمنية قائداً لتلك العملية أو المرحلة.

في البداية كان المنتج البدائي عبارة عن طبيعة (خام) وإنسان (خام)، وكان ذلك في اللحظة صفر، وكان القادة الحقيقيون هم الأنبياء والرسل الذين قادوا عملية التطور، والتي دامت عدة آلاف من السنين، فتوالت بذلك الديانات إلى أن أخذت أشكالها النهائية واستقرت على أشكالها الحالية، وتوقفت عن التطور فتوقفت معها عمليتها، وللتوضيح كي لا نَفهم – خطأً – أن الديانة التي جاءت بمرحلة متأخرة هي متطورة أكثر من التي قبلها، وهذا الكلام غير دقيق، فالمنتج المتطور يجب أن يتناسب مع طبيعة المستهلك، وللتوضيح أكثر.. لقد انبعثت الديانة المسيحية من بيئة الديانة اليهودية، هنا نستطيع أن نرى أن الديانة المسيحية متطورة عن الديانة اليهودية لأن البيئة واحدة، بينما الديانة الإسلامية لم تخرج من بيئة الديانة المسيحية بل خرجت من بيئة وثنية تعبد الأصنام والآلهة المتعددة، لذلك عملية التطور هنا تختلف. وأياً كان الأمر فقد جاءت الديانات لتطوير المنتج البدائي واستهلكت مددها الزمنية (مراحلها)، فعلى سبيل المثال نجد أن المدة الزمنية (المرحلة الزمنية) لعملية التطور بين الديانة اليهودية والديانة المسيحية تبلغ نحو ثلاثة عشر قرناً.

وما دام النبي محمد هو آخر الأنبياء، فهو بذلك يسدل الستارة عن مرحلة التطور.. لقد استهلكت مرحلة التطور الموجتين صفر والأولى، لتبدأ بعدها مرحلة التغيير التي تحتاج إلى أدوات جديدة ومراحل زمنية جديدة وقادة جدد، هؤلاء القادة الجدد(العلماء) هم

الذين سيرثون القادة القدامى (الأنبياء)، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وكلمة علماء هنا تعني علماء العلم من (مبدعين وعباقرة وفلاسفة وعلماء علوم مادية وإنسانية وفنانين ومفكرين) وليس شيئاً آخر.

فمرحلة التطور ثقافتها دينية كما في الشكل / ٦ / في فقرة حركة التطور الإنساني بينما مرحلة التغيير ثقافتها العلم والفلسفة والفنون.

وكما قال شاعرنا الكبير أبو العلاء المعري:

دين وكفر وأنباء تقص وفرقان ينص وتورات وإنجيل

في كل جيل أباطيل يدان بها فهل تقدم يوماً بالهدى جيل

إنّ الأدوات الجديدة التي فرضتها عملية التغيير تصبح هي المسؤولة عن عملية تطور جديدة، ولكن الأدوات جديدة أيضاً مما يتطلب تغييراً في البيئة والمناخ العام، لذلك يصبح هناك الاختلاف بين الحياة المعيشة والحياة التي يجب أن نعيشها، وبعبارة أخرى، هناك فارق كبير وشاسع بين الحياة التي يعيشها أبناء الأمة العربية وبين الحياة التي يجب أن يعيشها أبناء الأمة العربية، مما يتطلب عملية قوة قسرية لتحقيق هذا الهدف من أجل تطوير الجنس البشري وتماشيه مع حركة التطور الإنساني. فالحياة لا تحتفظ بنفسها إلا إذا خرجت من صورها القديمة البالية واتخذ تصوراً فتية جديدة اكتست بها - كذلك هي الحداثة

- ولتحقيق ذلك يجب أن نبتعد عن الميتافيزيقيا ونقترب من الطبيعة، نبتعد عن السماء ونلتصق بالأرض، نبتعد عن الأسطورة والسوبرمانية ونقترب من الواقع، نبتعد عن اللامعقول ونقترب من العقل. لا يوجد مستحيل.. لكننا نحتاج أن نملك خمسة عناصر لتحقيق ما نرنو إليه وهي (الإيمان بالعلم – العمل – الإخلاص – الصبر – الوفاء).

وأخيراً أرجو أن أكون قد قدمت عملاً مفيداً وممتعاً شاكراً لكم رحابة صدركم.

المؤلف

لمحة عن المؤلف (باختصار)

- حائز على شهادة الهندسة الكهربائية (مهندس استشاري).
- درس الموسيقا في معهد حلب للموسيقا وتتلمذ على يد العلامة الأستاذ نديم الدرويش بن الشيخ علي الدرويش.
- عضو في نقابة الفنانين وتصنيفه (فنان ممتاز).
- شغل عدة مناصب منها: أمين سر نقابة الفنانين، مدير الشبكات الأرضية في شركة الكهرباء.
- حائز على جائزة المركز الأول في الإبداع على مستوى الوطن العربي في مجال الموسيقا عام / ٢٠٠٥م / وكرِّم في الإمارات العربية، حيث أوجد نظرية في علم تحليل المقامات الموسيقية.
- كرّم عدة مرات على المستوى المحلي والعربي موسيقياً وهندسياً.
- مخترع وله عدة اختراعات ونال الجائزة الفضية في معرض الباسل عام / ٢٠٠٩ م / بمشاركة / ٢٠ / دولة ثمانية دول منهم أجنبية في مجال الكهرباء والميكانيك والتجهيزات الطبية والمعامل الصناعية.
- مؤلف وله عدة كتب منها:

(رؤيا جديدة في تحليل المقامات الموسيقية) (الشامل لتعليم آلة العود) (لغة العالم).

- أسس عدة فرق موسيقية شاركت في مهرجانات على مستوى القطر.
- ملحن وله عدة ألحان غنائية ومقطوعات موسيقية وموسيقا تصويرية وغنائية لعدة مسرحيات، كما نالت موسيقاه لمسرحية «لماذا أصبح جدهم شجرة» في مهرجان تونس عام / ٢٠٠٩م / الجائزة الأولى.
- شاعر وله ديوان شعري بعنوان (ولادة حياة).
- مؤسس ومدير تجمع صدى الفني النقابي، ويدرب فيه فرقة أطفال وفرقة كبار بأسلوب أكاديمي شاركوا بعد احتفالات خلال سنوات الحرب الكونية على بلدنا سورية الحبيبة.

المحتوى

الصفحة

إهداء ٥

مقدمة ٧

تمهيد ١١

مبادئ أولية ١٣

تاريخ الدماغ البشري ١٥

تاريخ الآلهة ١٨

الديانة الزرادشتية ٢١

الديانة البوذية ٢٣

تاريخ الميتافيزيقيا ٢٧

الوحدة الواحدة ٢٩

شرح مراحل المخطط التمثيلي للوحدة الواحدة ٣٣

الوحدة المتكاملة ٤٤

المادية واللامادية ٤٥

اللغة ٥٠

غاية وعمل الوحدة الواحدة ٥٢

التفكير بالغريزة ٥٥

الصفحة

التفكير بالعقل ٥٦
التفكير باللب ٥٧
التفكير باللاوعي ٥٨
الذاكرة – الحواس ٥٩
قنوات التواصل ٦١
قناة التفاعل – القاطع – التعطيل القسري ٦٢
العلاقة بين الموجة والوحدة الواحدة ٦٤
خلاصة ٧٢
ملحقات – الفكرة – الفكرة المميزة ٨١
الفكر – الفلسفة – الإدراك ٨٢
الوعي – الوعي الكامل – الحدس –الذكاء – التركيز – التفكير الفردي.. ٨٣
التفكير الجمعي ٨٦
البحث العلمي ٨٧
المثقف – المعرفة – القدرات الثقافية – الحضارة ٨٧
الديانة – الدين ٨٩
الطاقة – الجنس البشري ٩٠
حركة التطور الإنساني ٩٥
الموسيقا ١٠٥
الخاتمة ١٠٨
لمحة عن المؤلف ١١٢

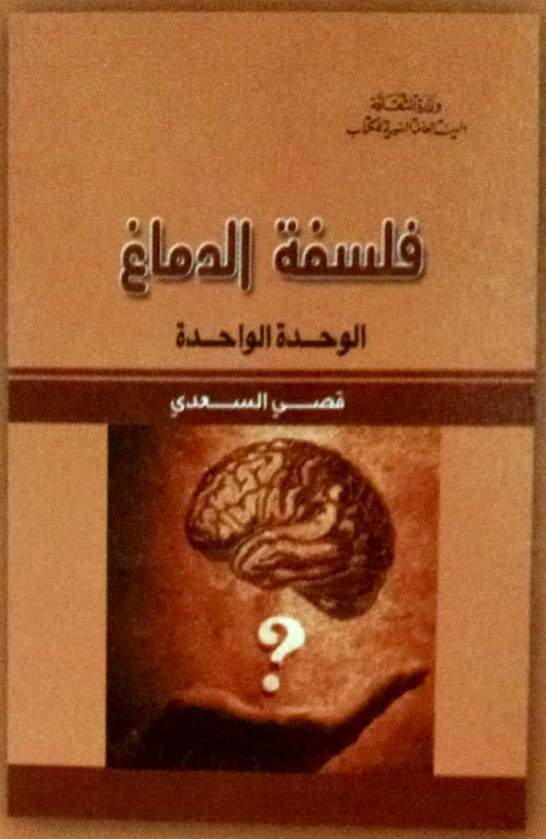

www.syrbook. gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٦م

سعر النسخة ٥٠٠ ل.س أو ما يعادلها